

العلامة أبو نبهان الخروصي

ومنهجه الفقهي

د. مبارك بن عبد الله الراشدي



الطبعة الأولى
١٤٢١ - ٢٠٠١ م

العلامة أبو نبهان الخروصي

ومنتجه الفقهي

د. مبارك بن عبد الله الراشدي

العلامة أبو نبهان الخروصي

ومنهجه الفقهي

د. مبارك بن عبد الله الراشدي

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ٢٠١٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى علم الإنسان ما لم يعلم، وجعل له البيان نبزاساً إلى العلم؛ ورفع مكانة العلم والعلماء، لسلكهم سبيل الانبياء. والصلاة والسلام على أشرف الرسل وسيد الخلق على الإطلاق محمد الهادى الامين، وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا بحث صغير عن فقه أبى نبهان الشيخ «جاعد بن خميس بن مبارك الخروصى» علامة عصره ووحيد دهره، سميته: «الشيخ أبى نبهان الخروصى ومنهجه الفقهي».

ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، وإننى أعرف أننى لم أستطع ذكر حياة أبى نبهان بكاملها، ولا منهجه بالتفصيل، ولكن اكتفى بما سمح القدر من الله به؛ فإنه لا يصف أبى نبهان إلا من كان مثله، ولكنى وضعت بهذا البحث المفتاح على القفل كى يواصل طلاب العلم مسيرة البحث، وأنا متأكد أنهم سيأتون بأكثر مما أتيت.

ومن المعلوم عند الجميع أن مؤلفات «أبى نبهان» ما زالت مخطوطة لا تساعد على القراءة والاطلاع الكافى. ونظراً لكثرتها وحاجتها إلى فترة كافية من الزمن وبما أن الوقت قصير، ولا يكفى للإجابة عليها كلها، فقد التزمت بقطعة الاحكام من كتاب الجوابات،

ويكتاب حياة المهج، وبسيرة أبي نبهان، مع ما وجدته من تفسير الفاتحة المسمى: «مقاليد التنزيل»، وتركت الباقي؛ لغزارة المادة وكثرة أبواب الأحكام، وقد حاولت أن أختزل العبادات وما يتعلق بها، ولكن وجدت أن أبواب الأحكام كثيرة جداً؛ لأنها تدخل فيها الأحكام المدنية والجنائية والشخصية والسياسة الشرعية، وكل من هذه الأربعة بحر غزير يحتاج إلى رسالة، ثم رأيت أن أبين بادي الأمر «منهج أبي نبهان في الأحكام»، والحق أنه صعب أيضاً، ولكن حاولت الاختصار قدر الإمكان؛ وذلك لأن معرفة المنهج مدخل لمعرفة الأحكام، وهذا عمل جديد في حد ذاته يخدم الباحث في فقه أبي نبهان.

ولعل وعسى أن يقوم الباحثون بدراسة فقه أبي نبهان كله في المستقبل، ولا يفوتني أن أشير إلى أن آثار «أبي نبهان» متداخلة حسبما رأيت فيما وقع في يدي منها، وهناك مسميات كثيرة لآثار غير معروفة، ولعل بعض هذه المؤلفات فقد، وبعضها تداخل مع غيره. واقترح لذلك أن يُعنى بها فتُجمع وتُصنف وتلقب باسم: «موسوعة آثار أبي نبهان». ولا تضير هذه التسمية جانب أصول الدين شيعياً؛ وذلك لأنها تدخل ضمن فقهه وآثاره.

وعند بداية العمل قسمته إلى فصلين كما يرى القارئ:

فالفصل الأول: يتحدث عن شخصية هذا العالم الجليل،

ويتضمن سبعة مباحث.

أما الفصل الثاني: فيتعلق بمنهج أبي نيهان في الفقه، ويتضمن

تسعة مباحث، ولو أن المبحثين الثامن والتاسع خارجان عن المنهج،
ولكن دخلا ضمن الفصل بحكم الأغلب. ثم الخاتمة.

وليعذرني قارئ هذا البحث عندما يلاحظ النقل أو التكرار، فإنما

هي ضرورة اقتضاها العمل نفسه، وكما قلت سابقاً إنه عمل
متواضع سريع.. ولكنها مساهمة وبداية لعمل أكثر جدية ومتانة.
والله من وراء القصد، والهادى إلى سواء السبيل.

د. مبارك بن عبد الله الراشدي

الفصل الأول شخصية الشيخ أبي نبهان

يشتمل هذا الفصل على عدة مباحث :

- * المبحث الأول : نشأة الشيخ أبي نبهان .
 - * المبحث الثانى : دراسته وشيوخه .
 - * المبحث الثالث : أخلاقه وصفاته .
 - * المبحث الرابع : تصوفه .
 - * المبحث الخامس : مكانته الفقهية .
 - * المبحث السادس : آثاره العلمية .
 - * المبحث السابع : موقفه من العلم والفتوى .
- المبحث الأول: نشأة الشيخ أبي نبهان :**

أولاً: نسبه :

هو الشيخ «جاعد بن خميس بن مبارك بن يحيى الخليلي»، نسبة إلى «وردان الإمام الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الإمام الخليل بن شاذان الخروصي» نسبة إلى «خروص بن شارى بن اليحمد من الأزدي اليمنية»، ويلتقى هو والشيخ العلامة المحقق «سعيد بن خلفان الخليلي» فى الإمام «الخليل بن شاذان»^(١).

(١) ابن رزق - الفتح للمبين فى سيرة السادة البوسعيديين، (مخطوطة) ص ١٢٦، انظر: =

وكان مولده فى عام ١١٤٧ هـ / ١٧٣٥م فى قرية العليا من وادى «بنى خروص»^(١). وهذه القرية تقع على سفح الجبل الأخضر فى آخر الودى بمكان مرتفع، فهى أولى بلدان الودى من جهة الجبل وآخرها إذا دخلت الودى من جهة العوابى. فهناك شُبٌّ وترعرع فى أحضان أبويه الكريمين، بين الجبال الشاهقة، والمياه المتدفقة، وخضرة النخيل الباسقة، فكان مرهف الحس واسع الخيال، ولم يكن مولعاً بالتعلم من صغره، بل كان رجل صيد ورفاهية حال كما سياتى، وقد لقب الشيخ جاعد بالرئيس، وكنى بأبى نيهان، ولا يوجد أحد من علماء عمان بهذه الكنية إلا هو كما سياتى.

وعندما يقال الخليلى فهو نسبة إلى الإمام الخليل، والخروصى نسبة إلى خروص بن شارى، فالأولى نسبة إلى الفرع والثانية وهى أكثر شيوعاً نسبة إلى الأصل، ولا شك أنه فى النهاية يتصل نسبه بالنبى هود عليه السلام^(٢).

ويظهر للباحث أن نسبة آل خليل إلى الإمام الخليل بن عبد الله-

= الشيخ عبد الله الخليلى - الحقيقة (مخطوط)، السيابى سالم بن جمود، إسعاف الأعيان فى أنساب أهل عمان ١١١ بمكتبة الجامعة / قسم عمان.

(١) محمد بن راشد الحصىبى - شقائق النعمان: ١٣٩/١.

(٢) انظر السالمى - محمد بن عبد الله: نهضة الأعيان: ٣٢٣.

كما هو ظاهر من نسبه الشيخ المحقق الخليلي - لا إلى الإمام الخليل بن شاذان، وذلك لأن الشيخ جاعد من أولاد ورد بن الإمام الخليل بن عبد الله والشيخ سعيد من أولاد أخيه محمد بن الإمام الخليل بن عبد الله، والدليل على هذا الافتراض من جهة أخرى هو ما ذكره الشيخ محمد بن عبد الله السالمى فى كتابه (نهضة الأعيان) نقلاً عن الشيخ خميس بن جاعد من خط الشيخ خلفان بن عثمان حفيد الشيخ خميس حيث قال ما نصه فى نسب الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي: (من نسل الإمام الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الإمام الخليل بن العلامة شاذان) (١).

فإذا عرفت هذا تبين أن نسبة آل خليل إلى الإمام الخليل الثانى لا إلى الأول فيكون ذلك أصبح نسبته إلى الأول لما ذكرنا.

وأمة هى ابنة للشيخ عبد الله بن مبارك بن عبد الله بن ناصر بن محمد فهى ابنة عم الشيخ جاعد، ولم أعثر على اسمها (٢).

وللشيخ جاعد ستة إخوة ذكور وبنت واحدة، وعدد أولاده الذكور والإناث ثلاثة عشر من عدة زوجات، ويظهر من ذلك أنه كان ميسور الحال ذا أسرة كبيرة، عاش مستهل عمره قرير العين، ولا ننسى

(١) انظر بحث المؤلف عن الشيخ سعيد بن خلفان ضمن «قراءات فى فكر الخليلي»

ص ١١١ - ١١٢ ط ١ نشر وزارة التراث القومى والثقافة (المنتدى الادبى).

(٢) اخذاً من مذكرة نسب الشيخ جاعد التى أعدها الشيخ مهنا بن خلفان الخروصى.

أنه عاش حقبة طويلة من الزمن، فقد كان يناهز التسعين عاماً عندما وافته المنية رضى الله عنه وأرضاه^(١).

وبنى بيتاً كبيراً بالعوابى، وهو الذى يسمى الآن (حصن العوابى). وكان وطن آباءه مدينة بهلا، ثم انتقل جده مبارك إلى إزكي، ثم إلى الجبل الأخضر منحدراً منه إلى قرية العليا التى ولد فيها الشيخ ومن قبله والده خميس.

وكان كسبه من عمل يديه فى الزراعة، وخاصة النخيل والليمون والبرسيم والحبوب، وكان له أموال، ولم يأمر أولاده بالعمل فيها كل يوم، وقد حكى ذلك عنه ولده ناصر بن أبى نبهان. وما زالت المزارع التى كان يقوم بها باقية لذريته حتى الآن فى آخر بلدة العليا مما يلى الجبل، وبنى مسجده الصغير هناك، ولا يزال المسجد باقياً كذلك، وعاش فى مستهل أيامه فى أمن وأمان بين بنى قومه فى وادى بنى خروص، ومضى على سيرة العلماء العاملين والفقهاء المصلحين.

المبحث الثانى: دراسته وشيوخه:

لم يكن الشيخ أبو نبهان مولعاً بالعلم منذ صغره، بل كان يحب

(١) انظر بحث المؤلف عن الشيخ جاهد للقدم فى الندوة العلمية للتراث - لم ينشر،
ويوجد بمكتبة جامعة السلطان قايتوس.

البادية والصعود فى الجبال لتتبع الصيد البرى كما هى عادة كثير من الناس يومئذ، وكانت عنده بندقية ضعيفة للصيد وكثيراً ما تخطىء، ولكن إرادة الله غالبه، ونهوض الحظ له لم يقف أمامه عائق، فقد سبق فى علمه أن يكون الشيخ عالم زمانه .

وهناك روايتان فى سبب دراسة الشيخ؛ الأولى : أنه فى يوم من الايام - حسب رواية الشيخ عبد الله الخليلى - أتى الشيخ جاعد إلى الشيخ العالم سعيد بن أحمد الكندى^(١) فى بلدة الهجار من نفس الروادى ليكتب له شيئاً من آيات الله البينات؛ لتعينه على جلب الصيد، بحيث يضع ما يكتبه له الشيخ على بندقيته كى لا يخطىء الهدف، ولكن الشيخ الكندى لمح من الشيخ جاعد قوة اللمعية وحدة الذكاء، فكان يحدثه ويسأله عن اخباره، فلما أفصح له عن طلبه قال له الشيخ الكندى - فى جواب الرجل الحكيم - : يا هذا، إن لى بندقية لاتخطىء الهدف ولا تعدو الثغرة، قُرب المرمى أو بعد . فكان لهذا القول اثر فى نفس أبى نبهان، فقال له : أرنى هذه البندقية التى تذكرها . فذهب الشيخ الكندى مسرعاً فجاءه بكتاب ضخيم، فوضعه بين يديه، وقال له : هذه بندقيتى، فإن كنت ترغب فى الإصابة وإن لا تخطىء هدفاً ما حييت فتعال اعلمك الرماية بها . فقال : هيه . فالتقى بندقيته الحسية وأخذ البندقية المعنوية، وخرج من

(١) سيانى ذكره .

صبغة البدو إلى صبغة الحضرة والتدبير والتفكير، وأكب على طلب العلم، وواظب على الدروس ليل نهار، حتى فتح الله عليه كنوز العلم والمعرفة^(١).

وفى رواية أخرى عن شيوخنا: أن الشيخ جاعداً خرج ذات يوم للصيد كالعادة، فلما رجع إلى المنزل وجد والدته قد أخرجت كتب آباءه المخطوطة، ووضعها في الشمس؛ لتذهب عنها الرطوبة والأرضة، فلما رجع سألها عن سبب تخريج الكتب في الشمس، فأجابته على سبيل التهكم به. لماذا لا أخرجها في الشمس وأهلك لم يتركوا لها أحداً يقرأها إلا أنت وأمثالك؟!

فتأثر الشيخ بتلك المقالة، فترك الصيد وواظب على الدرس والقراءة. ولا شك أنه قرأ على الشيخ الكندي، وقد تكون القصتان واقعيتين، وعلى أي حال فإن أحد السببين كاف في التحول عن مسار اللهو إلى مسار الجد والعمل الصالح.

ولازم الشيخ «جاعداً» الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكندي النزوي من أهل الردة، وقد خرج من نزوى إلى وادي بنى خروص؛ لظروف

(١) الشيخ عبد الله الحلبي - الحقيقة: ١١ مخطوط، ابن رزيق - الفتح للبين: ١٤٦ نشر وزارة التراث القومي والثقافة ط ١.

كدرت عليه صفو عيشه، وتوفى بنخل، ولا تزال ذريته باقية إلى اليوم بها.

فاخذ عنه الشيخ جاعد فنون العربية كالنحو والصرف والبيان، وفنون العلوم الإسلامية كاصول الدين والتفسير والحديث والفقہ والسير والتاريخ وغيرها، ورحل بعد ذلك إلى نزوى؛ فاخذ عن الشيخ العالم هلال بن عبد الله بن مسعود العدوى النزوى، وعن الشيخ العالم حبيب بن سالم الامبوسعيدى النزوى، واظنه من اهل فرق، وقد قال فيه ابن رزيق: (اعلم لهل زمانه، وقصدته الوفود بالمسائل من كل بلد من بلدان عمان)^(١).

وعاصر الشيخ أبو نبهان الشيخ محمد بن خميس بن سالم البوسعيدى، وكان بينهما تبادل آراء فى الاحكام^(٢).

ولكن الشيخ ابا نبهان فاق شيوخه واقرانه بعدما تبحر فى العلم، وفتح الله عليه من كنوز المعارف ما شهد به الركبان.

ويظهر لى - والله اعلم - ان الشيخ درس آثار العمانيين الاقدمين كثيراً، وخاصة آثار الشيخ أبى سعيد الكدمى فكثيراً ما يثنى عليه ويقلده، ويحتج بقوله فى مواضع كثيرة من جواباته، وذلك بعدما بلغ

(١) ابن رزيق - الفتح للبين: ١٤٦، وانظر مذكرة الشيخ مهنا فى نسب الشيخ وحياته العلمية.

(٢) السيد حمد بن سيف البوسعيدى - الموجز للمفيد: ٨٦.

درجة الاجتهاد من العلم، ولقد تعلق بآثاره ايما تعلق، وشغف بها أشد الشغف - وهذه بعض النصوص التي قالها فى أبى سعيد:

قال: (فانظروا فيه وفيما ذكرته إما مفصلاً، فإن الرجوع إلى صحيح الاثر أولى من تكلف النظر بلا علم ولا بصر، خصوصاً آثار هذا الشيخ الكدمى؛ لأن له اليد الطولى والمنزلة الاعلى والبصيرة النافذة، فهو من الجهابذة على ما ظهر له فى الدار، فشهر فى الفن الفقهى، فله دره من عالم بليغ ربانى! . ما أغزر وأقوى فهمه! وأصفى نظره! وأصح أثره! إنه فى العالمين لنور يستضىء به لدينه فى دنياه من الله هداه) (١).

وقال: (بل ربما كان الواحد أقوى نظراً فى العلم من الجمهور، يدرك بنور غريزته ما قد غابت عن الجمهور رؤيته، وكلت بصائرهم عن دركه، الا وإن هذا لهو الغالب على العلماء من الناس؛ لانهم وإن كانوا علماء وإليهم ينسب العلم، فإنه لبينهم البون الشديد والفرق البعيد، والمستبصرون الذين صفت غرائزهم، واستنارت بنور العلم الغريزى قلوبهم، ونظروا الصحيح بعين البصيرة، وباشروا أسرار العلم الدينية بصحيح المعرفة، حيث بلغ بهم العلم إلى درجة الربانيين من الاحبار.. كالشيخ أبى سعيد - رحمه الله - ترجمان المذهب الحق على الصحيح، وريان الجوارى من الدين المنشآت فى بحر الحقيقة على

(١) أبو نيهان جاعد، جوابات: ١٢٣.

الصواب - قليل . الا ترى أنه يقصر الذين وجدنا آثارهم من مشايخ المسلمين عن البلوغ إلى درجة هذا الشيخ - رحمه الله - ١٩ فسيحان من جعله رحمة، إلا من عصى واستحب العمى على الهدى^(١) .

وقال: (وكفى «بأبي سعيد» حجة ودليلاً، لمن أراد أن يتخذ لنفسه الحق سبيلاً؛ لأنه أعلم من تعلم من الاحبار، وآثاره أصح الآثار، لا على سبيل محض العصبية؛ ولكن لظهور أنوار الحق في أقواله المرضية)^(٢) .

وعده في موضع آخر من جهايزة العلماء المستبصرين بأنوار البصائر في علوم الشريعة^(٣) وصحح كلامه في غير موضع من جواباته^(٤) .

وبالجمله فقد اعتنى الشيخ بآثار الشيخ الكدمى، ودرسها دراسة واعية مع ما اثر عن السلف، فيكاد يكون هذا الشيخ أستاذه الأول.

المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته:

كان الشيخ «جاعد» واسع الصدر، رحب الخلق، لا يضيق صدره

(١) أبو نيهان جاعد، جوابات: ٤٣٦ .

(٢) أبو نيهان جاعد، جوابات: ٤٧٤ .

(٣) أبو نيهان جاعد، جوابات: ٤٢٧ .

(٤) انظر أبا نيهان جاعد - المجموعات ص: ٣٨، ١١٤، ١١٦، ١١٩، ١٢٢، ١٣١، ١٣٣،

١٣٨، ١٣٩، ١٤٨، ٢٠٨، ٣٣٩، ٤٣٩، ٥١٠ .

بمسائل، بل يتلقى كل طالب علم، ويظهر ذلك من أجوبته.. فهو لطيف فى جوابه، واسع الاطلاع، كثير النصائح لطلاب العلم وللسائلين كلما واتته الفرصة للنصيحة، فكتبه المشحونة بجواباته مدرسة تعلم القارىء والمطالع.

لا يفارق المسجد بعد طلوع الفجر حتى يصلى الضحى.. حدث بذلك ابنه الشيخ ناصر بن أبى نهبان^(١).

كان الشيخ يقف عند الحق، ولا يخاف فى الله لومة لائم، ولو كان عند أقرب الناس إليه.. حدث ولده ناصر بأنه هو وإخوته ربما تفوتهم سنة الفجر؛ فيصلون الفرض جماعة معه وذلك فى وقت صباحهم - ويختفون عنه ويبدلون بعد الفرض، فينهاهم الشيخ فلا يستمعون إلى نهييه، فما زالوا كذلك؛ لأنهم - كما يقول - يشتغلون بخدمة الأموال فى الصباح الباكر، ويقعد هو فى المسجد حتى يؤدى صلاة الضحى، فينسون أداءها حتى تفوتهم، حيث يقول: (كان والدى - رحمه الله تعالى - يمنعنا أن نصلى سنة الصبح إذا فاتتنا بصلاة الفرض، جماعة معه بعد الفرض ونحن نختفى عنه ونبدلها بعد صلاة الفرض، ولم نزل كذلك ولم نستمع إلى نهييه؛ لأنه كان يقعد فى المسجد إلى صلاة الضحى، ويشغلنا هو بخدمة

(١) انظر السعدى - قاموس الشريعة: ١٣١/٢.

أمواله، فنذهب إلى خدمة الأموال، وننسى بدل السنة، هكذا فى غالب الأوقات إذا فات وقتها، وكان - رحمه الله - يشتد غضبه علينا، ونختفى عنه، ويقول: من أجاز لكم هذا؟ وهو يعلم منى أنى وجدت كلام الشيخ أبى سعيد - رحمه الله - فى ذلك^(١).

وحدّث أيضاً عنه الشيخ باصر.. بأن نبهان كان يقرأ للشيخ من مصنفٍ للشيعة، وقد كتب فى ذلك الكتاب «على» عليه السلام، وعندما كان نبهان يقرأ يقول: مكتوب «على» - عليه السلام - أى بزيادة كلمة (مكتوب)، فاخذ الشيخ الكتاب، ونظر هذه الكلمة فلم يجدها فغضب على نبهان، ونهره، قائلاً: (اترك كلمة مكتوب، واقراء كما صنّفه صاحبه «على» - عليه السلام -؛ لأن هذا كلام غيرك، وإن زدته أوهمت السامع أن مصنف الكاتب صنّفه كذلك)^(٢).

كان يحارب الابتداع فى الدين، فلا يرضى بتشريك أهل القبلة ولو كان ما كان، ويحدّر من ذلك. وفى جواب له لمن سأله عن ذلك نهى عن الدخول فى اعتقاد تشريك المتولين لليهود والنصارى، فلا يحكم عليهم بحكم المشركين، ولكن يحكم عليهم بكفر النعمة وبإطلاق الفسق والنفاق عليهم، وأن ماوهم النار وبئس المصير،

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر - ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(١) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾.

وخذ مثلاً مما كتبه، جواباً لمن سأله عما يقوله النجدية والأزارقة، ويدعون إليه في رسالة طويلة، ونقتطف منها هذه الأسطر: (ويا من صبا من العمانية إليها ليت شعري ما الذي جعلكم عليها؟ أهو شدة رهبة فيكم من أهلها؛ فيعذر من اتقى أن يظهر ما جاز له في إعلان، فاسرفى قلبه ما قد أضمره من الإيمان، ولم يأت ما ليس له أن يفعله بالأركان، ويجوز الفضل من امتنع منها ظاهراً فأبدي لله كبرها، ولم يرض بها قليلها ولا كثيرها، أو كان هذا منكم لرغبة فيها عن جهل بأوامها، أو علم بحرامها، أفلا تسألون أهل الذكر عنها قبل مرامها؛ فإنهم القادة لمن القى إليهم قيادة، فلا تقبلوا من غيرهم قولاً ولا عملاً في عموم ولا خصوص، إلا ما عرفتموه عدلاً؛ فجاز لكم أو لزمكم أن تقولوه، أو تعملوا به حيناً... وقد نزل بكم من هذه الفتنة العمياء والداهية الدهياء ما قد بان ضرره فيمن دنا منه، فأصابه شره، فلم أسرعتم الوثبة إليه، زهدا في الذي كنتم عليه، وبه النجاة ولا شك؛ لانه العروة الوثقى والحبل للتين من ريبكم. فإن تكونوا في ريبة من إنك من يقول على الله كذباً فدان في أهل الإقرار بالشرك، فاقرأوا

(١) النساء: ١٤٠، ١٤١.

رسالة «المهنا بن جيفر» ما دونه «خلف بن زياد» فى سيرته، وانظروا إلى ما أرسل به «محبوب بن الرحيل» إلى عمان فى أمر «هارون بن اليمان»، حين زلُّ وأبى أن يرجع فضل، وما لغيرهم من السير مثل «أبى الحوارى وأبى قحطان وأبى المؤثر»، لعسى أن تجدوا ما قد أثبتوه وأثروه على الأولين. هذا يتم من فى زمانهم، ولمن يأتى من بعدهم فى الآخرين).. إلى آخر ما قال (١).

وقد جاء فى هذه السيرة الشىء الكثير من الرد والبيان والحجة والبرهان والنصيحة الواضحة عن الانزلاق فى هذه الفتنة العمياء. كما أن الشيخ يجيز هدم ما بناه البغاة وقطاع الطرق من مراصد ضد المسلمين (٢).

ويشتد غضبه على من يعاون الجبابرة على الظلم، أو يجيبى لهم الصدقات والخراج، أو يدلهم على فعل ما هو غير جائز فى دماء المسلمين، وأعراضهم، وأموالهم. وأطال النصيحة لمن سأله عن مثل هذه المسائل، وهى كثيرة فى جواباته وفى كتابه «الدقاق لاعناق أهل النفاق» وغيرها. ولولا خوف الإطالة لآتيت ببعض النصوص المتعلقة بذلك (٣).

(١) أبو نيهان جاعد - سيرة أبى نيهان ص ٥٠.

(٢) أبو نيهان جاعد - جوابات: ١٠٥.

(٣) أبو نيهان جاعد - جوابات: ١٠٥، ١٣٨، ١٨٠، ١٩٢، ٢٢٣، ٢٥٥، ٢٠٦، ٢١٦،

٢٧٤، ٤٢١، ٥٣٩، ٥٦٩، ٥٦٧.

وكان ذا يقين بالله وثقته به على كل حال، حين توفي أحد أولاده، وكان في تلك الحال وهو يجيب سائلاً؛ فذكر له ما أصابه من موت ولد له أوجعه، فحمد الله، واسترجع، وسأل الله المغفرة له ولولده^(١).

ولم يتزلف الشيخ إلى أمراء عصره، ولم يتقرب منهم، بل كان يقدم لهم النصائح، ويامرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ولا يخافهم، ولا يرهبهم؛ شأنه في ذلك شأن علماء الآخرة^(٢) ولولا خوف الإطالة؛ لآتيت بنص تلك الرسالة.

المبحث الرابع: تصوفه:

بلغ «أبو نيهان» في هذا الجانب مبلغاً عظيماً، لا يدانيه فيه أهل زمانه، فقد بلغ في علم السلوك ما جعله وحيد زمانه. ومن يقرأ قصيدة حياة المهج وشرحها، يعرف مبلغ ذلك العالم التحرير والزاهد العارف البصير بربه؛ فإن فيها ما لا يكاد يُدرك، فقد غاص في علم السلوك، وعرف مداخل ومخارج هذا العلم، وما يؤدي إليه، وما ينتج عنه، وسرف أنقل لك نصاً من كلامه على مصطلحات مسميات النفس عند الصوفية، ونصاً آخر في تجلّي صفات الذات للسالك.

(١) أبو نيهان جاعد - جوابات: ١٤ .

(٢) أبو نيهان جاعد - أنظر الرسالة من جوابات: ص ٥٨٣ ، ٥٨٨ .

النص الأول فى صفات النفس قال :

.. والمراد أن هذه الصفات على عددها كل واحدة منها فى النفس تقتضى كون ضدها، فى حالة الطرد والعكس، فيكون فى موتها كون حياتها، وعلى العكس فى حياتها كون موتها. وفى ذلها كون عزها وعلى العكس، ففى عزها كون ذلها. وفى غيبتها كون حضرتها، وعلى العكس ففى حضرتها كون غيبتها، وهذا صحيح. ولكن فيه لاهل الضعف فى الأفهام نوع غموض وإيهام فيحتاج فى حقهم لإقامة البرهان إلى مزيد بيان، حتى يتضح لهم المعنى بحال فيرتفع الإشكال، ومن البيان له أن يعرف أولاً المراد بهذه الصفات فى هذا الموضوع، فإن الموت عبارة يطلق فى هذه النفس الدنية فى مصطلح الصوفية بوجه اختيارى، على الحمية لها من شهراتها الردية، ومنعها عن مواضع رداها المخالفة هواها، ومن مساوئها ورد دعاويها، والتهمة فى جميع مراداتها، والأنفة من مجاراتها، والتبرى من حولها وقوتها وطولها، والرجوع إلى الله فى جميع الأمور، والاستسلام لامره فى التزام الطريقة بانوار الشريعة وأسرار الحقيقة، والخروج منها بالفناء عنها حتى تحمد فتتسلخ من رذائل صفاتها، وتتفسخ من غوائل آفاتها، وتطلع فى سويداها أنوار العرفان فتتسخ ظلماتها، وتنشر آثارها بالإحسان فى جميع الأركان، فتحيا لصفاء الأحوال بروح أسرار

المعارف والأحوال، وهذه هي الحياة الأمدية الموجبة للحياة الأبدية^(١).

والنص الثاني من شرح البيت:

تجلى ظهوراً بالصفات لذاته إلى طوره فاندك من نورها شهباً
قال: (وذاته عبارة عن نفسه التي هو هي لاغيرها، وهي هو لا
غيره، لا إله إلا هو الحى القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له الأسماء
الحسنى، والصفات العليا، ليس كمثله شىء فى ذاته، ولا فى شىء
من صفاته، تسيح له السماوات والأرض، تعالى عن الطول والعرض،
وعن درك الأفهام، وتصور الأوهام، وجل عن الكيف والالين، وعن أن
يرى فى الآخرة والأولى بالعين، وتقدس عن أن يكون له لون، أو
يحوى نفسه كون أو تعتريه حركة أو سكون، أو يلحقه شىء مما
يلحقه الخلق؛ لأنه الملك الحق مقدس النفس عن كل نقص ورجس،
وقد آن إلى من هنا فى هذا أن أقول: إنه مقام الذهول، وحبيرة العقول؛
لأنه منقطع الإشارة لعجز العبارة عن حقيقة ذاته القدسية، من حيث
إنه ليس للخلق سبيل يصلون به إلى معرفته، إلا بالذى جعله لهم من
الأدلة عليها، ولم يجعل لهم علماً يدلهم على حقيقة ذاته، وإنما دلهم
على معرفته بأسمائه وصفاته، ونصب لهم من جوده أعلام شهوده

(١) شرح حياة للهج.

أدلة على وجوب وجوده، فبه عرفوه، ولولا ما عرفوه بصفاته ولا سموه بشيء من أسماء أفعاله ولا أسماء ذاته^(١).

وكفى بهذين النصين دلالة على مقام هذا الشيخ العظيم في معرفته بربه، وتجرده من أغيار النفس الدنية، واتصافه بصفات المعرفة للذات العلية.

المبحث الخامس: مكانته الفقهية:

بلغ الشيخ « أبو نبهان » مبلغاً من العلم بزُ فيه أقرانه، وصار من الشهرة والمكانة الرفيعة فيه بحيث يشار إليه بالبنان، قال عنه الشيخ العلامة « سعيد بن خلفان الخليلي » عندما ذكر الشيخ ناصر بن أبي نبهان ووالده: (وهم كانوا أكثر من علماء، وأصح نظراً، وإنا لهم في الحق تبع ان شاء الله) .. إلخ، ثم تمثل بقول القائل:

وابن اللبون إذا ما لُدُّ في قَرْنٍ لم يستطع صولة البُزْلِ القناعيس^(٢)
وقال عنه نور الدين السالمي: (إن أبا نبهان كان المتقدم على أهل زمانه بالعلم والفضل والشرف، واتخذته الناس قدوة في مرآشد دينهم ومصالح دنياهم، وقلده الأفاضل أمرهم لما علموا من علمه

(١) شرح حياة المهج .

(٢) الخليلي .. سعيد بن خلفان - تمهيد قواعد الإيمان: ج٣/ ١٣٠/ ٢٥٩ نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ط ١ .

وورعه^(١)، وكفى بشهادة هذين العالمين للشيخ بهذا المقام، الذى لا يقولونه إلا لمن كان مشهوراً بذلك؛ ولكونه بالغا درجة كبرى فى المعارف الإنسانية.

وقال عنه الخصيبى:

وأخو الفضل جاعد بن خميس من خروص ومن ذوى المائر
شمس علم وكنز سر وكهف وشهاب مُردٍ لكل الطغاة
قال فى الشرح: (كان عين جهابذة العلماء فى ذلك الزمان،
والحبر الربانى المشار إليه بالبنان، وكان الفرد الوحيد فى علم الأسرار
فعنده ملكة قوية)^(٢).

واشتهر علم الشيخ «جاعد» وتخريجاته الفقهية بين الخاص
والعام، وعرف بالعالم الربانى وبالشيخ الرئيس، ومدحه شعراء عصره
بقصائد طويلة، ومما قاله فيه «الدرمكى» من قصيدة طويلة:

وإن أبا نبهان للنابه الذى تنبه عنه منه بيض الفعائل
فيفضح مهما جاد هملان وإبل ويفضح مهما قال سحبان وإثل
وينصب أعلاماً من العلم عاملاً وإنى رأيتم عالماً غير عامل

(١) السالى.. عبد الله بن حميد - تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج٢/ ١٨١ نشر وزارة التراث القومى والثقافة ١٩٨١.

(٢) الخصيبى.. محمد بن راشد بن عزيز - شقائق النعمان: ١/ ١٣٩ نشر وزارة التراث القومى والثقافة ط٢/ ١٩٨٩.

ويسخو بجود للموالين نافع ويسطوا بسيف للمعادين قاتل
فلم نر إلا راضعاً در عارض ولم تر إلا صالحياً نار صائل
فيتلو علينا سورة الشمس وجهه وأخلاقه تتلو كتاب الشمال^(١)

ويقول الشاعر «راشد بن سعيد بن بلحسن العبسي» أيضاً في
مدحه من قصيدة على الحروف الهجائية في بداية كل بيت بحرف:

صنع الخروصي الصلاح ووصفه بصوابه لم يحصه إحصاء
ضخمت فضائله فضايق ببعضها عرض الفضاء وبعضهن ضياء
طم الفطانة والطباع تعطفنا لللطائعين وطاعة وعطاء
ظان بوعظ الواعظين بلفظه ظعن الظما والظلم والظلماء^(٢)

ومن الذين مدحوه في حياته.. الشيخ العالم منصور بن ناصر
الخروصي الستالي، والشيخ الفقيه ناصر بن محمد بن سليمان
الخروصي الحاجري السمائي، والشيخ سيف بن ناصر الغشري،
والشيخ سعيد بن حسن بن درويش الخروصي، والشاعر حميد بن
محمد بن رزيق النخلي، والشاعر علي بن خميس بن عامر الحراصي
الجبري وغيرهم كثير. وقد جمعت قصائد مديحه في ديوان كامل
أطلق عليه لقب (قائد المرجان في مدح أبي نبهان)^(٣).

(١) الخصبى، للمصدر السابق ص ١٥٠.

(٢) للمصدر نفسه ص ١٥١.

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٨.

وكان الشيخ جاعد من العلماء العاملين، والفقهاء المجتهدين،
 وإلى مرضاة ربهم من السالكين الذين مدحهم الله في كتابه عز من
 قائل: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ
 يَسْتَفْرِوْنَ ﴿١٨﴾﴾ وفي أمثالهم حقُّ للسائلِ والمَحْرُومِ ﴿١﴾.

فكان عابداً لله متبتلاً إليه، لا يفارق مسجده إلا لحاجة عياله
 وماكله ونومه، عاش طالباً للعلم مطلوباً فيه، يرد إليه السائل من كل
 أنحاء عمان في أمر الدين والدنيا، ويزدحم إليه طلبية العلم، وكان
 شديد الغيرة في دين الله، لا يخاف فيه لومة لائم، وقد قام بواجب
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب استطاعته في زمانه، وله في
 ذلك مواقف مشهورة، وصحائف ماثورة، ذكر بعضها «نور الدين»
 في تحفته^(٢)، والشيخ «عبد الله الخليلي» في رسالته (الحقيقة)^(٣)
 وغيرهما.

وانظر ما قاله الشيخ «عامر بن علي العبادي» في جواب له: (وقد
 كفاني دليلاً ومنهجاً وسبيلاً من سلك بحالي دار السلامة ومقام
 الكرامة الباقي إلى يومنا هذا في مصرنا وعصرنا وهو الشيخ «أبو نبهان
 جاعد بن خميس الخروصي العلياني» - رحمه الله تعالى - وهو
 الإمام لأهل العدل من ملة الإسلام في هذه الدولة وهذه الأيام، وهو

(١) لذاريات - الآيات من ١٧ - ١٩.

(٢) الخليلي.. عبد الله بن علي، رسالة الحقيقة ص ١٥ وما بعدها.

(٣) آية ١٤٩ - سورة الأنعام.

القدوة لمن جاء بعده من الأعلام، وهو الأمة، والقائد من اقتدى بآثاره الصحيحة إلى الجنة، فسبحان من بعثه في هذه الأمة في آخر الزمان بشيراً للمؤمنين ونذيراً للمجرمين، وداعياً للغافلين إلى الله بإذنه إلى سبيل مرضاته بالتزام طاعته، وسراجاً للمهتدين منيراً في هذه الليالي المكفهرات، يقول تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١) والحمد لله الذي جعل لكل قوم هاد إلى يوم المعاد، جزى الله «أبا نهبان» أفضل ما جزاه^(٢) به إماماً أقام له بقسطه في بريته، وجامد وشمراً وذاد عن محارم رعيته على ما أوضحه للعالمين من البرهان وبينه بأوضح بيان). .. فهذا كلام رجل معاصر للشيخ «أبي نهبان»، وهو عالم به وعين في زمانه، وقد نص على أنه كان إمام زمانه، وأنه قام بواجب الدفاع عن الدين ورد البدع، وأوضح دين الله للناس من حلال وحرام، ودعا إلى الله على بصيرة، وأقام الحججة على المعاندين.

وأضيف - إلى ما كتبتُه هنا - عبارة قالها الشيخ «سعيد بن ناصر الكندي»، وهو عالم مشهور في زمان الشيخ «أبي نهبان»، بل هو من شيوخه في رده له حين سأله عن كلام الشيخ «أبي محمد» في تعارض أقوال المجتهدين في المسألة الواحدة، حيث قال: (إن الحق في

(١) لعله جزى به.

(٢) السعدى.. جميل بن خميس - قاموس الشريعة، ٢١١/١٩ نشر وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٨.

واحد والباقي خطأ عند الله). فلم يصوب الشيخ «الكندى» الشيخ «أبا محمد» في ذلك. ثم على أثر جوابه قال: (وفى حسابي إنه لا يغيب عليك أمثال هذا)، ثم قال: (وانظر ما كتبته لك، ولا تقبل منه إلا ما وافق الحق)^(١).

وقد عجز علماء عصره عن مجاراته في الاجتهاد، وفي سؤال وجه لابنه الشيخ «ناصر بن أبي نيهان» حول الاجتهاد، قال السائل: (وقد اتفق العلماء في بعض الأمصار على تحريم القهوة، ثم أتى من بعدهم والدك - قدس الله سره ونور فكره - ورأى أن تحليلها هو الأعدل، وأظهر الحجج على ما رأى، حتى ظهر نوره في عقول ذوى العقول من الورى إنه هو الراى الأكمل)^(٢).

وفى جواب الشيخ ناصر لمن سأله فتعرض لذكر والده في الجواب، ثم قال: (ولا يشك أحد في علو درجته في الفهم، وفضيلة منصبه في العلم). وقال في مواضع آخري: (وحيث لم يرد الله الملك الخلاق، أن يكونوا على هذا الاتفاق، كشفه الله على من ألهمه بجنانه، فأجره على لسانه، فاستعمله في بلدانه، ولم أنفرد فيه بنفسى، بل أعاننى عليه بتصحيحه والدى «أبو نيهان»، لمن اتخذته عوناً عليهم من الإخوان)^(٣).

(١) السعدى - نفس المصدر السابق ص ٩٨ - ٩٩ - جوابات.

(٢) السعدى - للمصدر السابق: ٢/٢٦٢.

(٣) نفس المصدر ص ٢٦٥.

هذا كلام هؤلاء العلماء الجهابذة فى علوِّ مقام الشيخ أبى نيهان ورسوخ قدمه فى العلم، ولا شك أنه كان فى زمانه وبعد وفاته صار مشهور المكانة بين الخاص والعام، فإذا كان هذا موقف الخاص منه، فكيف بمواقف العامة؟ ولله فى خلقه شؤون، يختص برحمته من يشاء، كما يجعل الحكمة فى قلب من يشاء.

ولا ادل على ذلك من كلام الشيخ «أبى نيهان» نفسه فى مراسلاته وجواباته، فقد جاء فيها ما يغنى طالب العلم عن البحث عن شهادات المشهود وأقوال العلماء فيه، وسأنقل لك نصين؛ ليتبين موقفه من الدفاع عن الإسلام وأظهار معالنه.

النص الأول.. من رسالة له: (بسم الله الرحمن الرحيم. يا من وصلنى كتابه فلم أدر من هو جزاه الله خيراً، هذا عنى جوابه.. إن عمان لا يخفى على من بها ما قد ظهر على الغالب من أهلها فشهد من الفساد والطفیان، وهذه نازلة أخرى زيادة على ما هم به من البغى والعدوان، وكأنها من أختها أكبر وأقبح وأضر؛ لأنها داعية فى دين الله إلى إطفاء نوره واخماده، وإظهار ما لا شك فى فساده؛ لعدم صوابه بدليل ما قد أنزل الله به على رسوله فى كتابه، وخوفى أن تعم البلدان، فتمحو خير الأديان أو تبقى به فى كتمان. الا فاتقوا الله بأداء ما أمره، والانتهاه عما عنه زجر، ولا تركنوا إلى من دعاكم إلى متالف الردى، تاركين لما كان عليه أئمة الهدى، فإنهم أقرأ للتنزيل

واعلم بالتأويل، وأدل بالطريقة المثلى إلى منازل العلى، وقد ضربوا فى منارها الصوى، فبصروا من العمى، وأمروا بالتقوى، ونهوا عن متابعة الهوى، وأوضحوا لكم فى دين الله ما لا مزيد عليه من الهدى، ودلوكم على المحجة البيضاء التى كان عليها سيد الانبياء، فعرفوكم ما تاتونه فرضاً ونقلاً، وما تدرونه نية وقولاً وفعلاً، وبينوا لكم من زاغ عنها من أهل الجهالة، فجادلوا أهل الزيغ بالتى هى احسن لما بها من دلالة على صحة ما هم به وعليه وفساد ما عداه، حتى ظهر الحق، وبطل ما خالفه من دعوى العمارة الخ^(١).

النص الثانى.. جواب لمن سأل عن رجل يدعى عمير بن محمد الغلابى، ولا ادرى اعمانى هو ام لا؟ حيث ادعى النبوة، وصار يدعو الناس إلى تصديقه. ومما جاء فى جواب الشيخ «أبى نبهان»: (فإن كان ما قد ظهر على لسانه من دعوى نزول جبرائيل بالوحى على جنانه أو يكلمه به، فينبغى لكم من طريق الواجب فى تصديقه والعمل به أن تنظروا فيه نظر من أجهد نفسه فى جواز تحقيقه قبل سلوك طريقه، فإنى لا ادرى لما ادعاه فى الحق وجهاً يجيز لبعده من الصدق وإن صح أن له قريباً من الجنة يأمره أن يصدع به فى الناس فيظهره، فليس هو إلا من خدع شيطانه فاضله، وأعمى قلبه عن طريق

(١) أبى نبهان جاعد - سيرة أبى نبهان - مكتبة المخطوطات بوزارة التراث القومى والثقافة

رشدہ فازلہ، الم يبلغ إليه قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رُّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾^(١) أو ليس فيه ما دل إنه لا نبى بعده، بلى ومن أصدق من الله قبلاً، كلا وإنه أصدق القائلين... إلى أن قال: فاحذروا أمثالها وإياكم وتصديق من قالها، فإنها للسالك لمن أضيقت المسالك لقوله تعال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾^(٢).
 ألا فاتقوا الله وذروا ما لا وسع فيه من تقوله وغروره لما به من الإفك المؤدى بأهله إلى النفاق أو ما قوقه من الشرك، ومن الواجب على من قدر أن يقابله بنكيره؛ لأن الوحي قد ارتفع لموته ﷺ فانقطع عن الارض، إلا ما يكون من إلهام أو رؤيا فى منام) الخ^(٣).

وقد أفاض الشيخ فى الاستدلال على كذبه. وهناك رسالة أخرى فى هذا المجال، ومقطع من رسالة الثالثة فى الموضوع.

ومن هنا يتبين أن الشيخ كانت ترسل إليه عريصات المسائل، ويطلب منه حلاً لمختلف المشكلات؛ لأنه عالم زمانه، بل مرجع العلماء فى عصره كما سبق وأن بينت ذلك فى هذا المبحث، ولا

(١) الأحزاب آية ٤٠.

(٢) الانعام آية ٩٣.

(٣) أبو نيهان جاعد - سيرة أبى نيهان: ص ٨.

أحب الإطالة فى الموضوع، وإذا كان الأمر كذلك، فلا شك أن للشيخ آثارا فى هذا الميدان سواء المحمول فى الصدور أو المنقول فى سطور.

المبحث السادس: آثاره العلمية:

أولاً: من حمل عنه العلم، ولا شك أنهم تلاميذه الذين لازموا فى الدرس والتحصيل، إذ لا بد للعالم من أن يؤثر فى مجتمعه وخاصة فى من حوله ويتأثر بهم فكيف بمن خالطهم وخالطوه، فالعالم كعبة لطالبي العلم أينما يكون، فهو كالغيث أينما وقع نفع. وطلاب العلم لدى العلماء هم الكفيلون بنقل موروثاته الفكرية إلى الناس، وهل نقل سنة النبي ﷺ بأقسامها إلا أصحابه وهكذا.

والشيخ «أبو نبهان» كان من جملة العلماء الذين بذلوا العلم لطالبيه، فكان مسجده الموجود ببلدة العليا هو مدرسته التى يتزاحم فيها الطلاب بالركب، وهذا المسجد ما زال موجوداً ببلدة العليا على سفح الجبل، فنهل الطلاب من علمه الغزير وقصده السائلون والعلماء فى ذلك المكان النير، وكما قيل: بجيرانها تغلو الديار وترخص. أو كما قيل:

مررت على الديار ديار سلمى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا
وأول من حمل عنه العلم أولاده الكرام، وأول من نبغ منهم فى

العلم وتأثر بطريقته الشيخ «ناصر بن أبي نيهان» فهو أغزرهم علماً، وأعمقهم فهماً فيما بلغنا، وله مؤلفات عدة وعاش أكثر عمره فى العليا، ثم انتقل إلى نزوى، ثم غادرها إلى زنجبار، وتوفى بها عام ١٢٦٣هـ^(١). والشيخ «خمس بن أبي نيهان» قد دفن بجوار أبيه فى بلدة العليا^(٢)، والشيخ «نيهان بن أبي نيهان» كنى به والده - ولعله أكبر أولاده - وتوفى - رحمه الله - فى بلدة العليا على رواية أحفاده عام ١٢٣٦هـ أى قبل وفاة والده بسنة^(٣) وكذلك بقية إخوتهم، فاتصفوا بالعلم والورع والمعرفة والحصال الحميدة.

وأما من كان من غير أولاده فكثير، ومنهم:

الشيخ منصور بن ناصر بن خمس، وهو ابن أخ الشيخ جاعد، وقد شرح لامية ابن النضر^(٤)، والشيخ سعيد بن محمد بن راشد الخروصي المعروف بالغشرى^(٥) صاحب الديوان، وهو ممن

(١) انظر بحث المؤلف: الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وفكره ضمن قراءات فى فكر الخليلي - نشر المنتدى الأدبي.

(٢) أراد للسلمون فى زمان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي أن يتصيروا خمس إماماً لهم بالمستاق؛ لعلمه وأهليته فابى، انظر السالى - تحفة الأعيان: ٢/٢١٩.

(٣) وذكر نور الدين فى التحفة أنه قتل بنزوى فى نفس العام، انظر ج٢/٢٦٩ وما بعدها. (٤) من لسان أحفاده.

(٥) يبدو لى أن الشيخ الغشرى ليس من تلاميذ الشيخ أبى نيهان، حيث إن الغشرى من مواليد العقد الثانى من القرن ١٢هـ بدليل أنه: ١١٣٧ قد رثى أمه. ١١٣٧ أرخ لبناء مسجد الشدوابة. ١١٤٤ أرخ لبناء منزله. ١١٤٦ أرخ لهطول الأمطار والسيول التى أفسدت الزرع.

وهذه التواريخ كلها قبل مولد الشيخ جاعد (ت ١١٤٧) ولا يمكن أن يتمكن من الشعر، إلا إذا بلغ ١٨ وزيادة؛ ولهذا من الممكن أن يكون من مواليد عام ١١١٩ أو =

رثى والد الشيخ جاعد، وتوجد له فى ذلك عدة قصائد ضمن
الديوان.

وأبو محمد عبد الله بن مجيد بن ناصر الخروصى من أهل
العوابى، الذى قال فيه الشيخ أبو نبهان: (لو اجتمع عليه العلماء
إماماً لكنت أول من يبايعه؛ لكمال شروط الإمامة فيه، والشيخ حسن
بن درويش بن سعيد الخروصى من العوابى أيضاً وولده سعيد بن
حسن، وقد كان شاعراً نابغاً وفقياً بارعاً، والشيخ راشد بن سعيد بن
أبى نبهان وهو ولد ولد الشيخ وكانت له معرفة بالادب .. وغير هؤلاء
كثير.

ثانياً: مؤلفاته الفقهية :

ترك لنا الشيخ « أبو نبهان » عدة مؤلفات، كان أكثرها فى الفقه
بجانب ما له من مؤلفات فى السلوك وعلوم اللغة العربية وأشعار
وغير ذلك مما ذكر عنه، ولم نعر عليه. ولكن ما يهمنى هو
المؤلفات الفقهية، وبها تظهر مكانة الشيخ فى هذا الميدان، وإليك
بيانها:

= قبلها وبالتالي يكون عمره حينما ولد أبو جاعد نحو ٣٠ سنة، وحين بلغ جاعد ٢٠ سنة
يكون عمر الغشرى خمسين سنة وأن الجمالسة التى تمت بين الغشرى وأبى نبهان لا يمكن
أن تتم إلا حينما يبلغ الأخير ٣٠ سنة على أقل احتمال، وفى هذه الحالة يكون الشيخ
الغشرى تجاوز ٦٠ سنة فكيف يكون من تلاميذه ١٩ واعتقد العكس أن أبى نبهان كان
تلميذاً للغشرى. والله أعلم.

١- «الدقاق لاعناق أهل النفاق» .. وهو فى السياسة الشرعية، وأحكام أموال الجبايرة والتعاون معهم .. وتوجد منه عدة نسخ بمكتبة وزارة التراث القومى والثقافة، وأخترت واحدة منها تحت رقم ٢٣١٣ عام و ١١٠ ب خاص، وتحتوى على مائتى صفحة من خط الناسخ سالم بن شامس بن سنان المنذرى، وتوجد منه نسخ أخرى بمكتبة المخطوطات تحت أرقام أخرى.

٢- «أحكام المساجد والمدارس وما أشبهها» .. وقد ذكر انه جزء من كتاب المستطاب، وهو الثانى، وتوجد منه عدة نسخ بوزارة التراث القومى والثقافة، وقد اخترت نسخة تحت رقم ١٢٠٤ عام و ١١١ ب خاص، وتحتوى على ٣٣١ ورقة.

٣- «إيضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان» .. وتوجد منه عدة نسخ فى وزارة التراث القومى والثقافة، وقد سجلت منها نسخة تحت رقم ١٠٩٧ عام و ١٠٨ ب خاص، ويحتوى على مائة وتسع وثلاثين ورقة بخط الناسخ مسيعيد بن سويعد بن مسعود السعدى.

٤- «الصيام» .. وهو مجموعة مسائل، وتوجد نسخة منه بمكتبة وزارة التراث القومى والثقافة بعنوان (مسائل فى الصيام) للشيخ الفقيه العالم العلامة أبى نهبان جاعد بن خميس الخروصى بدون ذكر الناسخ، وليس فيه ترقيم.

٥- «جوابات أبي نيهان»، وهو فى سبعة أجزاء وتوجد بوزارة

التراث القومى والثقافة، وقد صنفت كالتالى:

أ- «الطهارات والوضوء».. تحت رقم ١١٩١ عام، ١٠٢ ب
خاص، وتوجد منه نسخ أخرى تحت أرقام أخرى، وعدد أوراق هذا
المجلد ٢٢٥ ورقة بخط الناسخ سالم بن سعيد بن محمد الغيثى،
وتوجد منه نسخ متعددة بمكتبة الوزارة.

ب- «الاعتكاف والنذور»، و«الكفارات وما أشبهها».. تحت
رقم ١١٩٥ عام و ١٠٦ ب خاص، وعدد أوراق هذا الجزء ٢٤١
ورقة بدون ذكر الناسخ، وتوجد منه نسخ أخرى مرقمة أيضاً.

ج- «الميراث».. تحت رقم ١١٩٦ عام، ١٠٧ ب خاص، وعدد
أوراقه، ٢١٢ ورقة ولا يوجد فيه ذكر للناسخ.

د- النكاح والرهن والمضاربة وغيرها.. تحت رقم ١١٩٤ عام،
١٠٦ ب خاص، وعدد أوراقه ١١٠، وورقات وهذا الجزء ناقص من
نهايته، ولذلك لم نعرف الناسخ.

هـ- «الطلاق وأحكامه».. تحت رقم ١١٩٣ عام، ١٠٤ ب
خاص، وعدد أوراقه ٢٠٨ وورقات، ولم نعرف الناسخ..

و- «الاحكام».. وهو تحت رقم ١١٩٠ عام، ١٠١ ب خاص،

وعدد أوراقه ٢٣٤ ورقة بخط الناسخ سالم بن سعيد بن أحمد الرواحي.

ز- «مسائل متفرقة».. تحت رقم ١١٩٢ عام، ١٠٣ ب خاص، وهذا الجزء ناقص من أوله وآخره؛ ولهذا لم نعرف الناسخ.

٦- «أحكام الزكاة».. وسجل هذا المجلد تحت رقم ١١٩٨ عام، ١٠٩ ب خاص، وعدد أوراقه ٢٠٤ ورقات بخط الناسخ محمد بن علي الغداني.

٧- «كتاب الحج».. وقد تم نشره مصوراً عن طريق مكتبة معالي السيد المستشار محمد بن أحمد البوسعيدى بالسيب، وتداوله الناس، فهو في حكم المطبوع ولكنه غير محقق.

ويظهر لي - والله أعلم - أن هذه المؤلفات موسوعة واحدة متكاملة، وتضم بين جنباتها جوابات الشيخ أبي نبهان، ما عدا كتاب الحج الذي يشعر من لفظه أنه ألفه بنفسه، والذي يرجح هذا الظن خلو هذه المجلدات المسماة بالجوابات من أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد؛ ولهذا يمكن أن تكون كتب الصيام والزكاة والحج والمساجد من جملة الجوابات التي رتبها الشيخ محمد بن خميس السيفي من أهل نزوى، عاش في القرن الثالث عشر الهجري.

ولكن الشيخ «مهنا بن خلفان الخروصي». وهو من أحفاد الشيخ جاعد - يقول في مذكرة كتبها عنه: أن له موسوعة خاصة في فقه العبادات في خمسة أجزاء من الطهارة إلى الحج، ولعله يشير إلى هذه المجلدات التي أشرت إليها فتكون جواباته في العبادات داخله ضمن أجزاء العبادات المشار إليها؛ ولكن لا بد أن يخرج منها جزء الطهارات، ويحل محله جزء المساجد؛ لأن الظاهر فيه إنه سؤال وجواب مخلوط مع غيره من أجوبة المشايخ المعاصرين للشيخ أو قبله كبقية الجوابات.. والله أعلم بذلك.

٨- «كتاب المغام في الخلاص من المظالم».. ولم أعر عليه إلا أنى وجدت الشيخ مهنا ذكره في مذكرته، ولعله كتاب الدقائق المشار إليه آنفاً نفسه.

٩- «القضايا في حل عريص الوصايا».. ولم أعر عليه، بل ذكره الشيخ المذكور، ولعله داخل فيما رمزت إليه في (٥: ب)، فإنه يحتوى على الوصايا أيضاً.

١٠- «المسائل المنثورة في أحكام الفقه» ذكرها الشيخ المذكور أيضاً، ولعلها داخله فيما سبق.

١١- «العدد وأحكامها».. ذكرها الشيخ المذكور، ولم أعر عليها، ولعلها داخله فيما سبق والله أعلم بها، وهذه الأربعة ذكرها الشيخ مهنا ولم يرددها. قاله أعلم بها.

١٢- «مناسك الحج».. وهى رسالة صغيرة غير الكتاب السابق، وقد نشرتها وزارة التراث القومى والثقافة ضمن سلسلة تراثنا.

وهناك مؤلفات أخرى غير فقهية كما يلى :

١- «المستطاب».. الجزء الاول منه فى احكام الولاية والبراءة وقراءة القرآن والتعبد وغير ذلك، ويوجد بمكتبة وزارة التراث القومى والثقافة تحت رقم ١٢٠٣ عام، ١١١ ب خاص، ويحتوى على ٢٣٢ ورقة، ولم يذكر ناسخه. أما الجزء الثانى منه فهو الذى فى احكام المساجد، هكذا فى فهرس مكتبة الوزارة، ولكن ليس فى الكتاب نفسه ما يدل على ذلك.

٢- «موسوعة أصول الدين فى الخلاف والرد على المخالفين».. هكذا ذكر الشيخ مهنا، ولكنى أميل إلى أن هذه الموسوعة هى الجزء المعنون له بمقاليد التنزيل لإدراك حقائق التأويل؛ لأنه لا يحتوى إلا على تفسير سورة الفاتحة فى اثنتى عشرة صفحة من صفحات الكتاب، أما الباقي فهو فى هذا الموضوع نفسه، وهو جزء كبير فى ٥٨٩ صفحة من القطع الكبير.

٣- «مقاليد التنزيل فى تفسير سورة الفاتحة».. وقد ذكر الشيخ أنه كان عازماً على تفسير القرآن الكريم كله، ولكنه توقف، ولم يذكر الناسخ السبب، بل استمر فى ذكر مسائل فى أصول الدين، ويوجد

بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة ضمن المصورتات من غير ترقيم، وهو المشار إليه أعلاه.

٤- «شرح قصيدة حياة المهج في معرفة الله وثورابه للمؤمنين».. وتبين فيها مكانة الشيخ في هذا الجانب. فعلمه ليس منشوراً فحسب، بل هو معلق برب العزة صاحب الملك والملكوت والعز والجبروت، وقد رقم تحت ٢٤٢٨ عام بمكتبة المخطوطات من وزارة التراث القومي والثقافة، وله عدة نسخ من عدة ناسخين، أما التي بين أيدينا فناسخها سعيد بن سليمان بن محمد السعدي، وأول هذه القصيدة قوله:

تبين أخى في الله قولى فإننى على النصح فى ذات الإله مع العتبي
أما الشرح فقد بين أيضاً مكانة الشيخ فى العربية، وأنه عالم بليغ فيها بلا جدال، فكلامه فيه خير دليل ومثال.

٥- «شرح كتاب الجهالات» - للشيخ أبى عمار عبد الكافى الوارجلانى الجزائرى فى أصول الدين.. ولم أعشر عليه، ولكنى وجدت ذكره فى مذكرة الشيخ مهنا؛ ولعله موجود عنده.

٦- له عدة سير ومكاتبات ونصائح إلى ملوك زمانه وإلى العلماء والأمراء، تشتمل على كثير من الإرشاد والتوجيه والنصائح الدينية والدينية فى السياسة الشرعية الموصلة إلى إعزاز الإسلام، وطلب

العلم - والمحافظه عليه، والاستقامة فى الدين، أو رسالة تسمى «حز الشجرة» .. كلها دعاء فقط، وإنما ذكرت بعض المؤلفات أو الآثار من باب الاستطراد، وإلا فإتما يهمنى فى دور البحث المختصر انتاجه الفقهى؛ لمعرفة جهود الشيخ فى ذلك، ولعل هذا الاستطراد يفيد الباحثين فى شىء.

ويذكر الشيخ مهنا أن الشيخ أبا نبهان ألف فى علم السلوك والتصوف وعلم أخلاق النفس والصنعة الكيميائية بطرق التكليس والتقطير، وله فى ذلك عدة رسائل كثيرة. وألف فى الفلك والأجرام السماوية، وأسرار الحروف والآيات القرآنية وأنواع رياضاتها وما يتصل بها، ولم نعر على شىء من ذلك، ولكنه غير مستبعد، فهو مشهور بذلك، ومما يدل عليه أن تلميذه الشيخ الغشرى قد نظم قصيدة فى علم الفصول السنوية والكواكب التى تتعاقب عليها وغير ذلك، وهى موجودة بديوانه المطبوع، كما أن الشيخ ناصر كانت له يد طولى فى علم الاسرار وألف فيها عدة رسائل، ولا شك أنه أخذ هذا العلم عن والده - رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة - .

وبجانب ما ذكرنا .. فإن فقه الشيخ «جاعد» قد انصهر فى مؤلفات من جاءوا بعده، فقد أخذوا كثيراً عنه، ومنهم العلامة «جميل بن خميس السعدى» فى القاموس، والعلامة «موسى بن عيسى البشرى» فى الخزائن ومكنون الخزائن، والعلامة «السيد مهنا

ابن خلفان البوسعيدى»، والعلامة «سعيد بن خلفان الخليلي» فى التمهيد، والعلامة «نور الدين السالى» فى المعارج وغيرهم كثير.

المبحث السابع: موقفه من العلم والفتوى:

وإذا كان الشيخ «أبو نيهان» قد بلغ هذه المرتبة من العلم، فينبغى للباحث أن يذكر مكانة العلم عنده وموقفه من الفتوى والتقليد لإبراز أهمية هذا الجانب فى فكر العلامة «أبى نيهان»، ويتضح ذلك فيما يلى:

(ولا: مكانة العلم:

أ- يرى الشيخ أن كنز الكنوز هو العلم النافع الذى يستضىء صاحبه بنور الله المستمد من معرفته - تعالى -، فالعلماء العاملون هم القدوة، ولا يؤخذ علم الدين إلا من الثقات، وأما غير الثقات فلا يحسن أن يؤخذ منهم علم الشريعة وأصولها، اللهم إلا ما تقوم به الحجة من أى معبر، وخاصة ما لا يسع جهله من أصول الدين^(١).

ويرى الشيخ أن يتعلم الإنسان جميع فنون العلم، فياخذ للتعلم من كل شىء بما تسنح له الفرصة؛ لينبذ الجهل عن نفسه، فالعلم كله شرف ونور، وفنونه كثيرة لا تحصى، ولكن حسب الاستطاعة.

(١) السعدى - قاموس: ٥٣/١.

ويحث الشيخ على طلب العلم لله تعالى دون غيره، لا للمراء
والسمعة، ويقول في هذا الصدد: (الافتعلموا العلم لله تعالى،
وكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين
والأقربين، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، وإياكم والرياء
والمجادلة والمناضلة والمراءات في الدين، فإنها من آفات العلماء
وعلامات العلماء السوء، الذين ليس لهم في الآخرة من المغفرة
والثواب من عند الله حظ ولا نصيب، وفي الرواية عن النبي ﷺ:
«من تعلم العلم ليرأى به الناس فهو في النار»، وقال عليه السلام:
«دع المراءات وإن كنت محققاً، فإن من ترك المراءات بنى الله له قصرًا
في الجنة»، وفي الأثر الصحيح عن أهل العلم: (إن من التواضع ترك
الجدل ولو كنت محققاً)^(١).

ب- ويرى الشيخ أن نور العلم يشع في القلب، ولكن بعد
استعمال الأسباب المؤدية لذلك، كى يستطيع التمييز بين الصحيح
والسقيم، والحق من الباطل في فنون العلم وشتى الأعمال، فاسمع ما
يقول في ذلك: (ومهما شئت ذلك فاعلم أن مبدأ الطريق في تحصيل
ذلك إنما هو بطريق الرياضة في إقامة الظواهر وتصفية السرائر علماً
وعملاً أن ساعد القضاء على ما يحب الله ويرضى، وبعد صفاء
الأحوال، ونصب فخ علم المادة والأعمال، في مقامات الإخلاص

(١) نفس المصدر: ٩/١.

والأنس والرضى والمحبة والذكور وملازمة الفكر، ربما يقع الاقتناص للحقائق فى القلب بواسطة الكشف لأمر خفى، يتجاوز به الملك إلى الملكوت، فيحترق فى سيره الحُجب، ويصل بمن الله المطلب، وتحصل البغية بعد الرؤية لذلك بعين اليقين للعيان؛ لاستنارة القلب بنور الإيمان، ونور السنة ونور العزائم من هنالك ينبع من بينهما... أمور عجيبة وأقوال غريبة، يحار فيها الباب أولى الأبصار، وأرباب المادة والاستبصار؛ لأن فوق كل ذى علم عليهم، فنافس فى مثل هذا يا أخى، وأبذل فيه مجهودك.. وانظر فى كل حادثة محتملة للنظر، أو واقعة اختلف فيها أهل العلم والبصر، إن كان لك قلب تقدر به على تجريد الصفو من الكدر، وإلا فبمن تقدر به عليه، فإن لم يكن فعلى ما تقدر عليه، وخذ من ذلك بأحسنه لله تعالى مخلصاً له الدين، تكن من المحسنين، وتدخل فى غمار الداخلين حتى المدحة التى اقتضتها الآية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوتُوا الْأَبَابِ﴾^(١) وما التبس عليك من شىء، فكننت فيه على ظلمة الإشكال عن رؤية الصواب، فاقتبس من أنوار علماء الآخرة نوراً؛ تستضىء به فى ذلك، وإياك والاستشارة فى ذلك لعالم أسكره حب الدنيا، فيقطعك عن محبة الله، أولئك قطاع الطريق على عباد الله المرئدين^(٢).

(١) الآية ١٨ سورة الزمر.

(٢) أبو نيهان جاعد - جولات: ٤٣١ - ٤٣٢ وانظر ص ٤٥١ - ٤٥٢.

هذا نص كلامه: وهو دليل واضح على موقفه من العلم وطلبه والعلماء وتقسيمهم، ولا يحتاج الأمر إلى زيادة بيان، وتوجد نصوص أخرى في صفات علماء الدنيا والتحذير منهم، فراجعه^(١).

ج- كما أن الشيخ يوجب على العلماء إظهار علمهم عند ظهور البدع، وتحريف قواعد الدين، ذباً عن الدين، وتادية لواجب الدفاع عن الإسلام والمسلمين، حيث يقول: (وإنه لحق على كل ذى علم بالحق مع الطاقة له على إظهاره إذا ظهرت البدع والضلالات والشنع أن ينشر علمه؛ لتنجلى الظلمة، وتنكشف الغمة، فتكون كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، وإن لم يفعل ذلك فيدفع ويرفع فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمع، ولا يقبل منه صرف ولا عدل، إلا أن يكون على تقية في الأصل، أو وجه يوجب له في الحق عذراً يوماً ما؛ لأن عليه حال وجود القدرة له مع الإمامة على سبيل الاستقامة الذب عن الدين عن تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين في أحكام دين المسلمين، وكلاية الشرعة عن تشويش المتدعة، مع خوف التزلزل بالبدعة وأنواع الضلالة لإقدام العامة، الذين كلت أبصارهم عن رؤية الحق في ذلك، ولم يكن لهم قدم راسخ في قواعد الإسلام، ولا أصل ثابت في معرفة الأديان والاحكام)^(٢).

(١) راجع هذا النص بكامله في المرجع السابق: ٤٢١ - ٤٢٢، وانظر ص ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٩.

(٢) أبو نيهان جاعد - جوابات: ٤٣٠.

وقد قام الشيخ في هذا الجانب بواجبه الشرعى، فاجتهد وأصاب، وذّب عن الدين وأمات البدع، وجاء بالحق، ولم يخش عذل العاذلين، ولا لوم اللائمين، فلا يترك الفرصة حين يراها عن تقديم المشورة والنصيحة والحث على طلب العلم والبعد عن الجهل والتقليد، وتحذير الناس من البدع - رحمه الله ورضى عنه - ولا يتعفف عن سؤال أى أحد عن العلم^(١).

وقد أخذ الشيخ من فثون العلم ما شاء الله من المنطق^(٢)، والحساب، واللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغة وشعراً - إذ هو شاعر بليغ وناطق أديب -^(٣)، وعلوم الشريعة تفسيراً وحديثاً وفقهاً، وحاز فى علم السلوك مرتبة كبرى، إذ يكاد الوحيد بين من كان قبله ومن جاء بعده^(٤).

ثانياً: موقفه من الفتوى:

أ- لا يحب الشيخ أن يتصدر للفتوى إلا من بلغ رتبة الاجتهاد، ولم يعجب برأيه ولا يأنف من قبول الحق ممن جاء به، ولا نصب الرأى ديناً والعكس، فقال فى معرض رده على بعض من ضيق على

(١) كان يسأل حتى غير الإباضية: أبو نيهان حاعد - جوابات: ٤٢٢.

(٢) للصدر نفسه: ٤٨، ٤٨٨.

(٣) له قصائد عديدة. انظر حياة المهج وشرحها.

(٤) انظر شرح حياة المهج.

الناس الجائز بجهل منه ما نصه : (وإنما العيب على من خالف الأصول، وصدف عن ملة الرسول، أو نصّب الرأي ديناً، أو تكلم مينا، وتكلف القول فى العلم جهالة، وعاش فى الناس على ضلالة، وعاب على الناس سلوك سبيل الجائز، وضيق فى رأى عليهم الراسع، وحملهم على رايه فى الرأى، أو رأى من رأى من رايه من الرأى، فى غير موضع الأحكام وفصل القضاء بين الأنام، ولقد قيل فى الصحيح : (ليس العالم من حمل الناس على ورعه، إنما العالم من افتاهم بما يسمهم من الحق). ولقد قال الشيخ « أبو سعيد» - رحمه الله - فى حق السائل على المسؤول عن المسألة التى لها وجهان : إن يخبره بين الوجهين جميعاً فى التعارف والحكم، ليدخل عليه الفرع من وجهه، والضيق من وجهه؛ ليطلب الآخر لنفسه السلامة انتهى . وكذلك كان الشيخ «محمد بن محبوب» - رحمه الله- إذا سئل عن شىء فيضيق فيه ليأمر السائل له أن يسأل القاضى لعله أن يرى غير ما رأى فيوسع ما ضيق فى ذلك، فيدخل الفرع على الناس، ويطلب كل مرید منهم باب المخرج إلى السلامة لنفسه؛ وهذا لمن أوضح دليل فى أوصافه على تجرده من العجب برأيه لإنصافه فى ذلك من نفسه، وإنصافه دال على صفاء باله وحسن أحواله، وكذلك لكل من أراد الله تعالى والدار الآخرة بعلمه، ينبغى فى هذا له أن يكون، لكنه قد أخذ الأكثر من الناس فى الانعكاس فى هذا والانتكاس على أم الرأى، الا ترى أنك

تلقي الواحد من المتسمين بالعلم فتجده المعجب برأيه .. يقول: أنا أنا .. وليس هو من ذلك فى شىء! والمعجب لا يكاد ينجع فيه العلاج فيبرأ؛ لعظيم الداء وعزة الدواء، إلا أن يتداركه الله فى أمره بلطف خفى^(١).

ب- والشيخ ليس ممن يعجب برأيه، بل يظهر القول بالضيق والقول بالسعة، ويفصل فى الجواب فى كثير من الأحيان إلى حد الإسهاب، ولكن ذلك الإسهاب فيه مزيد علم ويحث وتحريض واستدلال، وليس ثرثرة كلام، وذلك عند الحاجة إليه. وانظر ما قاله فى هذا الموضوع: (وقد آل بنا الشرح إلى الإسهاب فى القول على هذه المسألة حرصاً منا على هذا المبتلى من ظلم ظلمه، وفكه من أسرما دخل فيه على جهله بجهله، عسى أن يكون لنا فى إعانته على ما رامه من هدايته موضع قريب، فإن للضعيف بجوابه فى قريبه من ربه شدة أربه، وقد أبدى له فى قوله ما لا يكاد يخفى فى هذا عليه أمره معه، تارة بالضيق وأخرى بالسعة، ومراده بذلك أن يكون فيهما ناظراً لنفسه).

وقال: (فانظر فى هذا كله من جوابى فإن فيه زيادة، أهديناكها على وجه التطوع إليك سؤالاً وجواباً). وقوله: (وإنما زدناه من عندنا،

(١) جوابات ابى نيهان جاعد، ٤٢٩ - ٤٣٠ وانظر ص ١٨٠.

وذكرنا رضى البالغ وإن لم نذكره لتعام الفائدة، فإن البلية بمثل هذا غير قليلة فى أهل زمانك). وقوله: (فانظر كيف فرقنا سؤالك فى إصلاحه ليكون مع كل شىء جوابه، فجعلناه مثلاً مع كل شىء جوابه، فجعلناه مثلاً لعسى إن اتخذته فيما بعد سؤالاً زدنا فيه ما لم تسأل عنه كذلك^(١)، بل يأمر السائل أن ينظر فى الجواب بعين البصيرة، ويشاور فيه أهل البصر، ولا يأخذ منه إلا ما وافق الحق والصواب، وأن يردده إن ظهر أنه باطل فلا يجوز القول بغير الحق. مثل قوله: (فانظر فى ذلك ولا تأخذ به ولا بشىء منه إلا ما وافق الحق^(٢)، فانظر فى هذا كله ثم لا تعمل إلا بصوابه، فإن غير الحق لا يجوز قطعاً^(٣)). وقوله: (فاقبل ما وافق الحق ودع ما سواه)^(٤). وقوله: (فانظر فى هذا كله ولا تقبل منه إلا العدل)^(٥). وقوله: (فخذ ما وافق الحق ودع ما سواه^(٦)).

(١) أبو نيهان جاعد - الجوابات - ١١٥، ٧١٧.

(٢) نفس المصدر: ١٩٠، ١٩٢، ٢٧١، ٣٩٧، ٤٢٢، ٤١٦، ٢٧٣، ٥٣٩، ٥٦٧، ٢٧٦.

(٣) نفس المصدر: ١٨٠.

(٤) نفس المصدر: ١٨٧.

(٥) نفس المصدر: ١٨٢.

(٦) نفس المصدر: ١٩٢.

• ورفع عنه الشيخ ناصر بن أبى نيهان قوله: (تعرف قوة العالم فى علمه بكثرة الشروط فى الجواب، فإنه يدل على أن ينظر وجوهاً لا تدخل فى ذلك للفظ) - قاموس الشريعة:

وغير هذا الكثير.. وإنما أتينا ببعض الامثلة؛ لتعرف طريقة الشيخ فى اتهام نفسه دائماً فى إصابة الحق، وهذه طريقة علماء الآخرة الذين لا يلزمون الناس بقولهم، ويدعون الحق فى مقالهم، بل يتركون للناس الخيار، ومن أراد الاحوط نظر لنفسه الاخذ بالاشد خروجاً من الخلاف^(١).

ج- وعندما تحين الفرصة لتذكير السائل بالله وبالآخرة؛ لاجل الخروج من مازق الضلال والابوية إلى المولى - ذى الجلال - يفتنهما الشيخ أبو نهبان، فيطيل فى موعظة السائل إلى درجة كبيرة، فلا تكاد إلا كأنك تقرأ خطبة بليغة لصلاة العبد أو يوم عرفة، وقد تكرر ذلك فى كثير من جواباته وخاصة فى مسائل التوبة من المظالم؛ لاجل التنفير من ذلك المازق، والرجوع إلى المولى - عز وجل - عن التعامل مع الجبايرة فى الاموال^(٢).

د- كان الشيخ يكتب إجاباته بيده برغم كثرة أشغاله ومطالعته، ولا يرد السائل، ولو كان به أشد الاحوال، وقد وقفت على قصة وفاة ولد له، يذكر ذلك فى جوابه للسائل ولكن خوف القطيعة والهجران للسائل أجابه رغم تلك الحال التى فيها، وهو يذكر أن الحزن والالم

(١) أبو نهبان جاعد - الجوابات: ص ٥٩، ٧٧، ٨٤، ٩٦، ٩٨، ١٤٢، ١٤٨، ١٦٦، ٧٧١، ١٠١٤، ٣٠١٤، ٥١١٤، ٢٢١٤، ٣٢١٤، ٨٥١٤، ٦٨١٤، ٧٨١٤، ٣٧٢٤، ٩١٣٤، ٦٧٣٤، ٥١٠، ٥٧٦، ٣٩٧

(٢) نفس المصدر: ١٩، ٢٠٣، ٢٧١، ٣٢٩، ٣٣٢، ٥٤٨، ٥٥١.

قطع كبده على فراق ولده يكاد ينفطر به قلبه، ولكنه يسلى نفسه باليقين بالله، وإن كل إنسان يصير إلى ذلك المصير، وينقلب إلى ذلك المنقلب، ولكن رغم ذلك يكتب تلك الأجوبة الطوال بخط يده، مما يدل على قوة جلده وسعة صدره، وكثرة تحمله في سبيل العلم، برغم صغر السؤال، ونكن الجواب عليه صفحات عديدة، يكاد يملأها القارئ وهو يكتبها بيده، فله دره من عالم فرغ نفسه للعلم^(١).

هـ كانت ترد للشيخ أسئلة من الآفاق، بجانب كونه مفتياً عاماً لعمان مما يدل على شهرته وذيع صيته، فقد وقفت على جواب منه لأحد المغاربة، ولكن لم يوضح اسمه، ولا أدري أهو من ليبيا أم من الجزائر أم من تونس، ولكن ذكر أنه من المغرب، الذى يطلق عليه اليوم (شمال إفريقيا)^(٢)، وهذه عادة اتباعها علماءنا سواء من المشرق أم من المغرب إلى يوم الناس هذا. كما وقفت على جواب طويل منه لبعض الأمراء النجديين يسمى محمد بن مقرن النجدي عن سؤال يدعو فيه الشيخ إلى الدخول فى مذهب الوهابيين، ويظهر من فحوى الجواب أن السائل يذكر له.. أن كثيراً من العمانيين قد اعتنق هذا المذهب. فرد الشيخ على المبادئ التى ذكرها، ولم يتعرض للإطالة فى

(١) نفس المصدر: ص ١٤، ١١٥، ١١٦، ٤٢٢، ٤٥٢ .

(٢) نفس المصدر: ص ١٦٧ وما بعدها.

الموضوع الآخر، ويوجد عنه جواب طويل رد فيه على من سأله على مذهب محمد بن عبد الوهاب حين وجه كتاباً إلى الشيخ ولم يذكر اسمه في الكتاب. فرد الشيخ مفنداً مبادئ صاحب هذا المذهب وبين عوارها، وطلب منه الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله وعمل الصحابة في حروب الجمل وصفين وغيرها وإلى آثار السلف الصالح من أهل الاستقامة في الدين، وألا يكونوا كابن الأزرق وأصحابه حين استحلوا الدماء والأموال والفروج بتشريكتهم أهل القبلة المقربين بالتحديد، ثم وجه نصيحة له بالألا يسمع جهال الإباضية وعوامهم فيما يفترونه على الإباضية وألا يفروهم بالدخول في بدعتهم، ثم وجه نصيحة لأهل عمان عن مثل هذه الفتن والأهواء التي جاءت في هذه الرسالة وأمثالها^(١).

و - الشيخ في جواباته يحث على اتباع السلف ما أمكن، وألا يحيد عنه المتعلم وخاصة غير القادر على الاجتهاد، بل يحث على اتباع جهايزة المشايخ العمانيين أمثال محمد بن محبوب وأبي سعيد الكدسي وأبي علي موسى بن علي وأبي المؤثر وأبي قحطان وغيرهم من كبار العلماء^(٢).

(١) توجد هذه الرسائل في مكتبة المخطوطات بوزارة التراث القومي والثقافة تحت مسمى سيرة أبي نيهان.

(٢) أبو نيهان جاعد - جملات: ٥٩، ٢٧١، ٤٢٤، ٤٥١، ٥٩٨، ٦٠٠ وغيرها.

ز - يتخرج الشيخ كثيراً في أمر الفتوى والإقدام إليها بغير علم في مسائل الفروج، وكانى به يذهب مذهب الإمام أبى عبيدة في ذلك، وقد ائرت عنه مقالة عندما قيل له إن أهل عمان يفتون بالرأى . فقال: (ما سلموا من الدماء والفروج، فهنا يقول الشيخ « أبو نبهان » عندما تكلم على مسألة زواج الصبية أن الأكثر من الأقدمين يذهبون إلى أن لها الخيار، وفصل هذه المسألة وتوسع فيها . وبعد ذلك قال: (ونحب لمن استنصحننا وأحب أن يناصر نفسه أن يأخذ في جميع أموره بالوثيقة ما قدر لا سيما في الفروج، وأن يتبع في ذلك بالحلال الصراف العارى من الاختلاف، وأن توسع في ذلك بغير ذلك من الجائزات، ولم يخرج من صحيح آراء المسلمين لم نسمع إليه بالتخطئة، تعنيفاً . والقول في تفریع فصول أصول جمل هذه المسألة يتسع، وأرجو أن في هذا ما يأتى على جميع مسألتك، فلا تسألنى عن شىء فىنى لا أجيبك بعدها، لأنى لا أحب أن أفتح هذا الباب على نفسى ما وجدت إلى ذلك سبيلاً، إلا أن يشاء الله ربه وسع ربه كل شىء علماً، لأنى ضعيف العلم قليل الفهم، وفى المناظرات دقائق آفات موبقات، قل أن يسلم منها سائل أو مجيب، إذ لا يسلم منها إلا أولو الألباب، وقليل ما هم) (١) .

(١) نفس المصدر: ٤٢١، ٤٢٥، ٤٩١ .

ى- التقليد بغير دليل:

لا يرى الشيخ «أبو نيهان» التقليد للعلماء من العلماء المجتهدين، بل يشجع على الاجتهاد. فليس هو ممن يقول بغلق باب الاجتهاد، وإليك أيضاً مما قاله فى هذا الموضوع:

(فانظر يا أخى فى هذا وخذ بالحق فى كل حال، وجانب كل رأى قال: وإياك والنظر إلى من قال ولكن إلى ما قال، والحذر الحذر كل الحذر من التقليد فى الدين لأحد من البشر كائناً ما كان وكائن ممن كان من أهل العلم من المسلمين، ولو كان فى الفضل والكمال كابى بكر وعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - أو كان فى العلم كابن عباس وجابر بن زيد - رحمهما الله - وبلغ فى ضروب علم الشريعة بلاغة الشيخ أبى - سعيد رحمه الله -^(١) .

وقال: (ولم يكن فى الدين تقليد فى الحق لغير نبى، أو لكتاب نزل على نبى لم ينسخ)^(٢) . فالشيخ لا يحب التقليد للمجتهد بل يأمره بالنظر والاجتهاد، وقد حث على ذلك فى أكثر من موضع^(٣) .

هذا وبعدما أشرنا بإشارات عابرة على حياة الشيخ ومكانته العلمية، فمن الجدير بالقول بيان المنهج الذى اتبعه الشيخ فى مسائل

(١) نفس المصدر: ٤٣٩ .

(٢) نفس المصدر: ٤٣٦ .

(٣) نفس المصدر: ١٨٠، ٢٠٦، ١٨٧، ٢٧١، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٢٩ .

الفقه، ومدى أخذه بأصول التشريع، لأن ذلك يعطى القارئ نبذة
عن موقف الشيخ منها، ومدى التمسك بها، وسأجعل ذلك فى فصل
مستقل كما يلى .

الفصل الثانى

منهج الشيخ أبى نيهان الفقهى

هذا الفصل يشتمل على تسعة مباحث وخاتمة:

- المبحث الاول: تعامله مع الكتاب العزيز.
- المبحث الثانى: تعامله مع السنة.
- المبحث الثالث: تعامله مع الإجماع.
- المبحث الرابع: موقفه من القياس.
- المبحث الخامس: رأيه فى الاجتهاد.
- المبحث السادس: أخذه بالأدلة الأخرى.
- المبحث السابع: أخذه بالقواعد الفقهية.
- الأخذ بالرخصة عند أبى نيهان
- مصطلحات فقهية فى الجوابات.
- المبحث الثامن: لإسهاماته الأدبية.
- المبحث التاسع: وفاته وراثته.
- المبحث الاول: تعامله مع الكتاب العزيز:
- (ولا: احتججه به :

لا يختلف موقف «أبى نيهان» عن موقف غيره من العلماء

العاملين بكتاب الله من جهابذة العلماء فى شأن الاستدلال بكتاب الله العزيز، فهو يرى التمسك بما جاء فيه، ويعتبره الأصل الأول للتشريع الإسلامى، فهو يقول بما معناه: (إن الله عز وجل أنزل القرآن على عبده بواسطة الملك الأمين جبريل مصداقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل مبشراً ونذيراً، ولهداية البشر إلى سواء السبيل، وإن الله أنزله فأخرجه من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، ولم يصرح بأنه مخلوق أم لا، ولكن ظاهر كلامه يدل على ذلك، وقرر أن القرآن كامل لا يأتى عليه النقص والخلل، ولا يعتزى قارئه السامة والملل، فهو معجز بأسلوبه والفاظه ومعانيه وغوامض مبانيه.. ثم يقول: (على أنه فى تأليف كلامه وعجيب نظامه لغزابة تراكيب الفاظه العجيبة، وعدم تنامى معانيه الغريبة مع شدة إيجازه... فتحدى لذلك جميع العالمين أن يأتوا بمثله أو سورة فى صورة شكله وأعلن عن عجزهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)^(١).

كما قال فى موضع آخر: وكلام ذى الطول محكم القول لفظاً ومعنى، عارٍ من التناقض والتضاد (ليس فيه خلل فى شىء ولا زلل)^(٢).

(١) أبو نيهان جاعد: مقدمة سورة الفاتحة ص ١، أبو نيهان جاعد، جوابات: ٥١٠،

(٢) أبو نيهان جاعد، الجوابات: ص ٤٥، وانظر السعدى قاموس ٧٣/١.

.. كما ألح الشيخ على أن الصواب ما وافق الكتاب العزيز قولاً وعملاً ونية، وقال: (واعلم أنه لا يصاب العدل فى الرأى ولا فى شىء بالدين على مخالفة الثابت من حكم الكتاب أو السنة أو الإجماع)^(١)، وأن الأخذ بالمحكم واجب والإيمان بالمحكم والمتشابه واجب، والأخذ بالناسخ واجب أيضاً، والإيمان به والمنسوخ واجب، وأن الكتاب ينسخ بعضه بعضاً^(٢). والقرآن عند «أبى نبهان» ناسخ للكتب السابقة، فهو المصدق لها، والمهيمن عليها، وما فيه من الأحكام يجب الأخذ به. ولنسمع إلى ما قاله فى هذا الموضوع: (إذ قد جعله الناسخ لجميع ما تقدمه من الشرائع التى فى الكتب المنزلة على الأنبياء المرسله، وبه الكفاية عنها، فلا يحتاج إلى شىء منها، فهو المصدق لها، والداعى إلى الإيمان بها)^(٣).

ثانياً: ألفاظه وكتابه:

وكتابة القرآن عند «أبى نبهان» بغير العربية لا تجوز. حيث يقول: (والقرآن بغيرها لا يجوز لأن الشارع قد خصهما^(٤) بالفاظ لا يجوز لأحد أن يعدل عنها إلى غيرها)^(٥).

(١) أبى نبهان جاعد، المجموعات: ص ٤٢٧.

(٢) المصدر السابق: ١٤، ٥٠، ٩١، ٩٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٣٢٦، ٣٩٧، ٤٢١، ٤٧٤.

٤٧٥، ٤٩٥، ٥٠٩، ٥١٠، ٥٩٠، ٥٩١.

(٣) نفس المصدر السابق ص ٥٠.

(٤) أى الصلاة والقرآن.

(٥) نفس المصدر: ص ٤٥.

ولكنه جوز أن يفسر القرآن بلغات أخرى، وذلك لأن الفهم للتنزيل قدر مشترك بين الأمم، فكل قوم أدري بمعاني لغتهم. حيث يقول: (ولا خلاف في الترجمة؛ لأنها مجزية^(١)) في كلمة، وإن كانت بلغة أخرى؛ فهي به أخرى لأنها له أدري فيما به يؤمر أو ينهى، وجميع ما إليه بالقول ينهى، حتى فيما لا يفهمه من التنزيل؛ لأنها من صحيح التأويل، من متفق عليه أو مختلف فيه، بأى لغة عبّر عنه المعنى الذي به فسر^(٢).

وسئل الشيخ «أبو نيهان» عن اشتقاق اسم القرآن، فاجاب: (قد قيل لافتراق حروفه وآياته وسوره. وقال: سألت رجلاً من قومنا عن اشتقاق اسم القرآن فقال: لاجتماعه وائتلافه، وسمى تجمع الدم في رحم المرأة فرق^(٣) لتجمعه من الحيضة إلى الحيضة)^(٤).

ويرغب الشيخ «أبو نيهان» في تلاوته بالتجويد فر حيث إن التلاوة به متروكة فهو يقول: (وقراءة القرآن على ما يقراه أهل هذا الزمان من المعربين المجتهدين غندي جائز؛ لأن قراءة التجويد متروكة

(١) بمعنى ترجمة للمعنى لدلالة ما بعد ذلك عليه.

(٢) نفس المصدر: ص ٤٧ لكن جاء في موضع آخر موافقته للشيخين سعيد بن بشير الصبحي وناصر بن خميس الحمراشدي حيث قالاً بجواز ترجمة القرآن بغير العربية.. حيث قال: (وبه أقول وإذا جاز به الفم العربي جاز بغيره من كل قلم) انظر نفس المصدر: ص ٦٢.

(٣) لعل الصواب: ٥.

(٤) للمصدر نفسه: ص ٤٢٢.

من عهد طويل .. وعلى كل أن يجتهد في تجويد القرآن وتحسين القراءة له^(١).

ويقسم الشيخ الآيات التي يقرأ بها القرآن عند التلاوة إلى :
صواب لفظ، أو أحكام قراءة، وبيان حروف .. حيث قال ما نصه :
(فاما القسم المتعلق باللفظ نحو .. الإعراب والوقف والتغليظ والترقيق والإظهار والإدغام والإمالة والموصول والمفصول، والفرق بين الحروف المجهورة والمهموسة، والحلقية والقمية، والشفهية والهوائية المتصلة بالفم، وإخراج كل حرف من الحروف من مخرجه، وما اختلف أو اختلف فيه القراء السبعة في القراءات، وهذا النمط منوط بالقرآن والقرآن به اخص)^(٢).

وعند الشيخ أبي نبهان أن دراسة العلم النافع للأمة افضل من حفظ القرآن، وهو يؤول الوعيد الوارد في الحديث، لمن تعلم القرآن ثم نسيه على من نسي القرآن كله، حتى لم يبق معه ما يؤدي به الصلاة، يحكى عنه ذلك ابنه الشيخ ناصر بن أبي نبهان .. حيث يقول :

(وقد تعلمت القرآن كله حفظاً بالتلاوة له في شهر، ولا أتحفظ فيه في كل يوم إلا منذ أصلى الصبح وحتى طلوع الشمس، فلما تم

(١) المصدر نفسه: ص ٢١٤.

(٢) الشيخ جميل السعدى - قاموس الشريعة: ٧٢/١.

وذهبت مع والدي، لم أستطع أن أقرأه سرّاً؛ لأنني لم أتمكن من حفظه، ولا يرضى لي بالجهر لئلا أشغله عن التفكير فيما يفكر فيه، وأظهر لي في وجهه الكراهية باشتغالي بقراءات القرآن عن التحفظ بما أقرأه من الأثر، فتابعته على ما تهواه نفسه لي فنسيتته جميعاً، وأظن أنني أخبرته بذلك، فذكر لي كما ذكرته في التأويلين لما روى عنه عليه السلام، واستحسن في ذلك الذي استحسنته، وبالله التوفيق^(١).

ثالثاً - تفصيل معانيه :

أما بيان معاني ما جاء في الكتاب العزيز من حيث تراكيب لفظه، فقد بينه «أبو نيهان» فيما نقله عنه صاحب القاموس، وذلك بأن القرآن مشتمل على أمور، أخبار وأمثال، وأمر ونهي، وما يسع من الأحكام وما لا يسع، وخاص وعام، ومجمل ومفصل، ومبين ومجمل، ونص وظاهر، ومطلق ومقيّد، وحقيقة ومجاز، وظاهر وباطن، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وما أشبه به ذلك من المعاني التي يستنبطها أولو العلم الراسخون فيه^(٢).

وعلى هذا فالأصل الأول عنده هو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو

(١) السعدى - قاموس الشريعة: ٣/٣٠٥.

(٢) المصدر نفسه: ج ١/٧٢ - ٧٣.

الواجب الاتباع، فمن تمسك به سلك الطريق السوى، ومن أتى شيئاً يخالفه تنكب الجادة وهوى إلى أردى السبل، وكل ما يأتيه الإنسان وما يذره فلا بد من عرضه أولاً على ما جاء فى أصول الشرع؛ لئلا يزيغ عن الطريق المستقيم، فما نص عليه فى هذه الأصول اتاه، أو توافق مع هديها العام اخذ به، وإلا فلا.

وأما موقفه من السنة المطهرة فسوف أوجزه فيما يلى:

المبحث الثانى: تعامله مع السنة:

(ولا: الاحتجاج بالسنة:

الأصل الثانى: من أصول التشريع عند «أبى نبهان» هو السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام^(١)، الذى يقول فيه «أبو نبهان» بما معناه: أنه النبى والرسول الأمى هادى الأمة ونبى الرحمة، الذى أدار الله وجوده هالة هلالى وجوده فى قبة سماء بهجة الدين من حيث إنه جعله فى الناس قمراً و سراجاً منيراً^(٢).

وقال: (واعلم أنه لا يصاب العدل فى رأى ولا فى شىء من الدين على مخالفة الثابت من الكتاب أو السنة أو الاجماع)^(٣).

(١) أبو نبهان جاعد - نفس المصدر: ص ٥١، ٩١، ٩٢، ١٦٨، ١٩٤، ٣٢٦، ٣٩٧، ٤٣٠، ٤٩١.

(٢) أبو نبهان - مقدمة تفسير سورة الفاتحة ص ١.

(٣) جوابات: ٤٢٧.

وقال: ودليله فى قول ربكم وسنة نبيكم وكفى بهما هادياً لمن اتبعهما فى سلوكه إلى ربه بعد المعرفة منه لتأويلهما^(١)، فلا تسع مخالفة الكتاب والسنة أياً كان من الناس إذا ورد فى تلك الحادثة نص من الاصول الثلاثة، فكل أمر مخالف لها مردود على صاحبه، فهو فى ذلك يقول مستنداً على إبطال تزويج المطلقة ثلاثاً من صبي أو محرم أو غيرهما.. هل يحللها للأول أم لا؟ فقال: (ولا خلاف فى انه كل ما خالف الكتاب أو السنة أو الإجماع من تأسيس ذلك التزويج بها على من لا يسعه فى الحق تزويجها، ولا يحل لها بالنص نكاحه؛ لكونه ذا محرم فى الاصل، أو أنها محرمة عليه.. على خلاف الحق بأجمعه... لأنه واقع فى الاصل على غير أساس راسخ فى الحق... وإذا فسد الأساس تلاشى فرعه المبنى عليه)^(٢).

وفى موضع آخر يقول: (وإنما العيب على من خالف الاصول، وصدف عن ملة الرسول)^(٣). وقال: (لأن الدين ما جاء فى السنة أو الكتاب أو الاجماع حكمه، والرأى ما كان فرعاً لهذه القواعد الثلاث من الدين، فإنها الاصول، وما أشبه الاصول فهو مثلها)^(٤).

وقال: (والحق فى الحقيقة فى الباطن هو الحق الذى أظهره فى

(١) أبو نيهان - رسالته إلى التجدى ص ٢.

(٢) نفس المصدر - جوابات: ٣٩٧ - ٣٩٨ وتظهر ٤٢١ - ٤٢٢.

(٣) نفس المصدر: ص ٤٢٩.

(٤) نفس المصدر: ص ٤٧٥.

الظاهر لعباده على لسان نبيه في كتابه وسنة رسوله - عليه السلام -
واجماع الامة لا غيره لا يختلف بإجماع، ولو كثر الاختلاف
والنزاع^(١).

وعندما تحدث عن العدل بين الناس ذكر أنه هو أن يسير الحاكم
على ما يوافق الكتاب والسنة والاجماع والصواب من الرأي^(٢)، وما
كان منه غير ذلك فليس بعدل، فتري أن اتباع السنة عنده هو العدل
الذي لا مرية فيه، لان سنة النبي ﷺ هي المصباح الذي تهتدى به
هذه الامة، إذ لا ينطق عن الهوى، فكل ما يأتيه وما يذره إنما هو
مطابق لكتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه، وهي الترجمان للقرآن قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ
لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٣).

وينبغي أن تعرض الأعمال على مقتضى كتاب الله وسنة
رسوله ﷺ والإجماع؛ لئلا يقع الإنسان في محذور، حتى انه يبحث
السائل على عرض أجوبته في المسائل الفقهية على هذه الأصول،
خوفاً من مخالفة الحق، فقد جاء في بعض جواباته ما نصه:

(١) أبو نيهان - جوابات: ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٢) أبو نيهان - نفس المصدر: ٥٦١.

(٣) آية ٤٤ سورة النحل - وانظر نفس المصدر الجوابات: ٤٠.

(وما أشكل عليه فيه من شيء فقف عنه، والتمس عدله إن اضطرت إليه وأردت العمل به من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة أو رأى أهل العدل من الفرقة المحقة لعلك أن تصيب القصد، وتهدى فيه إلى الرشد، ويرتفع منك عن بصيرتك الحجاب، فتراه على ما هو عليه من خطأ أو صواب) (١).

ثانياً: أما من حيث مكانتها،

فإن السنة عند «أبي نيهان» يستحيل فيها ثلاثة أمور.. الأول: الغلط فيها؛ لأنها صادرة من المعصوم ﷺ (٢)، وأما النسيان فيطراً عليه لأنه ﷺ بشر، ولكنه مع ذلك يعتقد أبو نيهان أن صاحب الرسالة المحمدية في كمال بشرى لا يساويه فيه أحد، ولنسمع إلى مقاله في ذلك: (بدليل ما في الحديث، يروى عن النبي ﷺ إنه في صلاة الظهر سها حتى زاد فيها ركعة، ومرة صلى بأصحابه فقام عن ركعتين ولم يقعد لهما، وإذا كان هذا مما يجري عليه من كماله فيكون منه في نواذر أحواله، فكيف بغيره؛ أيظن أحد أن يلحق به في حضوره، وأن صفى باطنه لإشراق نوره؟ كلا.. إنه لفي غاية البعد أن

(١) أبو نيهان - نفس المصدر: ص ٦٠٠.

(٢) السعدى - قاموس الشريعة ٧٣/١ (وفعل النبي - عليه الصلاة والسلام - عند أبي نيهان يقتضى الإباحة باستفراق الجنس في الكل من الأمة عموماً، إذ لم تثبت معه قرينة التخصيص في ذلك له للوجبة لإفراذه به أو لاحقة أو مقدمة، والأمة داخلة بعبه فيما لم يصرح أنه مخصوص به) - جوابات: ٤٢٤.

يكون مثله عبد، فإن جميع ما عداه لا بد وأن يكون في كل أمر واه، فضلاً أن يساويه، فأنى بتقدمه فيتعدها^(١).

الثانى: الغلط فى أحكامها؛ لأنها وحى رسالة، وقد أوضح «أبو نيهان» لمن سأله أن الوحى ثلاثة أقسام.. الأول: وحى رسالة وهو للأنبياء فقط. والثانى: وحى إلهام وهو لمن يشاء الله من الأولياء. والثالث: الإيحاء وهو للمخلوق كلهم يعنى الإشارة، فالنبي وإن سها لكنه يرجع إلى الصحيح فوراً مثل ما وقع له فى الصلاة؛ لأن النبى ﷺ قد حرس بالوحى فى أمره فأيد بالتنزيل وعضد بجبريل^(٢).

الثالث: تسويغ إباحة العمل على خلافها أو الحكم بخلافها، فهذا مما لا يجوز شرعاً^(٣)؛ لأنها توحى من الله. قاله - عز وجل - يقول عن نبيه الكريم ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٤) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى﴾^(٤). وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٥). فلا يجوز إن يحكم أحد، أو يفتى بغير ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المهتدين من هذه الأمة.

فعلى المسلم فى نظر «أبى نيهان» أن يمثل للامر والنهى الثابتين

(١) جوابات: ١٦٦.

(٢) انظر جوابات: ١٦١، وانظر جوابات: ٤٢٣.

(٣) قاموس الشريعة: ٧٣/١.

(٤) الأيتان: ٣ و ٤ من سورة النجم.

(٥) الآية ٦٤ سورة النساء.

من السنة النبوية^(١)، قاله - عز وجل - يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢). وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٣).

ومعاني السنة النبوية مختلفة، فبجانب ما فيها من الأوامر والنواهي يشتمل على المندوب إليه، والمجبر فيه، والمباح، وما يسعه جهله، وما لا يسع من الأحكام، وفيها الخاص والعام، والمجمل والمفصل، والمبين والمحتمل، والنص والظاهر، والمطلق والمقيد بالكتاب والإضمار والحقيقة والمجاز، والظاهر والباطن، والناسخ والمنسوخ^(٤).

ثالثاً: الرواية:

وكثيراً ما يرد في كلام الشيخ الثابت من السنة، أو السنة الثابتة، أو ما ثبت من السنة، أو الحديث الصحيح، أو السنة الصحيحة، وذلك دليل واضح على أن الشيخ «أبا نيهان» لا يأخذ إلا بالسنة الثابتة بالرواية الصحيحة بأقسامها، وهي الواردة برواية الشقات، وينبئ ذلك أن السنة المروية من طرق ضعيفة لا يعتد بها. وقد جاء في معرض نصيحة له ما نصه: (ودلوكم على الحجة البيضاء التي

(١) السعدى - قاموس ١ / ٧٣.

(٢) الآية ٧ من سورة الحشر.

(٣) الآية ٩٢ من سورة المائدة.

(٤) قاموس الشريعة: ١ / ٧٣.

كان عليها سيد الانبياء، فعرفوكم ما تاتونه فرضاً ونقلاً، وما تذرونه نية وقولاً وفعلًا... أولئك هم اولو الالباب، الذين هداهم الله لدينه الذى ارتضاه الله لعباده من فضله، فلم يغيروه عن أصله، بل ابتغوا فيه اثر النبى - عليه السلام -، ومن بعده أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين بدعوة الانام^(١).

وبجانب الاصلين السابقين الكتاب والسنة يتمسك الشيخ «أبو نيهان»، بالإجماع أيما تمسك، وقد ذكره فى عدة مواضع من جوابه. وسوف أشير إليه فيما يلى إن شاء الله:

المبحث الثالث: تعامله مع الإجماع:

الإجماع هو الاصل الثالث من أصول الشريعة الإسلامية التى لا تجوز مخالفتها عند «أبى نيهان»^(٢)، ولا بد لرواية الإجماع من المسلمين من سند صحيح؛ لأن ثبوت الاصل من جهة الرواية شرط لصحة العمل به^(٣)، ولا تجوز مخالفة الإجماع أصلاً عند الشيخ «أبى نيهان». وما قاله فى ذلك: (واعلم أنه لا يصاب العدل فى الراى ولا

(١) من رسالته إلى من قال بتشريك أهل القبلة ص ١.

(٢) انظر السعدى - قاموس الشريعة: ١/٧٢. جوابات - أبى نيهان: ٥٠، ٩٢، ١٣٧،

٢٠٦، ٣٠٨، ٣٢٢، ٥٩٠، ٣٢٦.

(٣) السعدى - نفس المصدر: ص ٥٧، ٩١.

فى شىء من الدين على مخالفة الثابت من الكتاب أو السنة أو
الإجماع^(١).

وقال فى موضع آخر ما نصه: (وما ثبت وصح خروجه من ذلك
على معنى الإجماع فلا يجوز فيه الاختلاف)^(٢).

والمسألة المختلف فيها بين الفقهاء ولا يوجد فيها إجماع من قبل
لا يتم فيها الإجماع عند «أبى نيهان» - إذ يقول: (ولو أجمع على
العمل بقول من الأقاويل الجارية فى تلك النازلة أهل عصر من كل
قرية أو مصر أو من جميع الأقطار والقرى والأمصار، ما كان ذلك
بمزيل لما ثبت، وصح فيه من الخلاف إجماعاً بلا خلاف)^(٣).

وقال فى مسألة أخرى عند حديثه عن الرأى فى غير الأصول
الثلاثة ما نصه: (والحق فى الحقيقة فى الباطن هو الحق الذى أظهره
فى الظاهر لعباده على لسان نبيه فى كتابه وسنة رسوله - عليه
السلام- وإجماع الأمة لا غيره لا يختلف بإجماع ولو كثر فيه
الاختلاف والنزاع؛ لأنه واحد والقول فيه واحد من أصاب ملك ومن
أخطأه هلك والعباد بالله)^(٤).

(١) السعدى - نفس المصدر: ص ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٧٥، ٤٨٣، ٥٦١، ٦٠٠.

(٢) نفس المصدر: ص ٤٢١.

(٣) السعدى - نفس المصدر: ص ١٥٩.

(٤) نفس المصدر: ص ٤٩٥.

وقال: (كفى بإجماع اهل الحق على ذلك حجة فى ذلك لانهم الامة، والله لا يجمع امة محمد ﷺ على ضلال ولا خطأ، وما خرج عن الضلالة بالحق فلا يكون إلا حقاً، كما لا يكون ما خرج عن الحق إلا ضلالاً، إذ ليس بينهما منزلة ثالثة) (١).

والاتفاق نوعان .. أحدهما الإجماع. والثانى ما حصل التوافق على التواطىء فى القول عليه من غير الإجماع من القائلين له، ولا يكون ذلك - وإن لم يشبه الإجماع - على حال كالإجماع وما اشبه الإجماع فى حكمه، وإن كان يعينه لم يجمع عليه فهو مثله (٢).

وفى معرض كلام له آخر قال: (والله لا يجمع امة محمد ﷺ على ضلال ولا خطأ) (٣).

وبالجمله فالإجماع اصل من اصول التشريع فى الإسلام، فلا يجوز لاحد مخالفته، وكثيراً ما يؤيد الشيخ كلامه بأحد الاصول الثلاثة التى قام عليها الإسلام، ولا يجوز الرأى والنظر فى الامور التى ورد بها نص من الاصول الثلاثة. والقول الذى لا يرجع إلى دليل شاذ عند الشيخ لا يعمل به (٤). أما قياس ما ليس فيه نص على ما ورد فيه فلا بأس به وهو الذى سنبحثه فيما يلى.

(١) أبو نيهان جاعد - الجوابات: ص ٤٧٨.

(٢) نفسه: ص ٤٧٣.

(٣) السعدى - نفس المصدر: ص ٥٠١.

(٤) أبو نيهان جاعد - للمصدر السابق: ص ٥٩٩.

المبحث الرابع: موقفه من القياس:

القياس: هو قياس فرع على الأصل لعللة جامعة بينهما. والشيخ «أبو نيهان» ممن يثبت القياس ويقول له ويشنع على من منعه، إذ لا يمكن أن تنص الأصول الثلاثة على كل ما يحدث في الدنيا، بل جعل الله معرفة ذلك إلى الراسخين في العلم، الذين بلغوا درجة الاجتهاد.

والعلة الموجودة في الأصل إذا كانت موجودة في أمر آخر لا يوجد فيه نص، فإنه يقاس على الأصل ويطلق عليه حكمه، إذا لم يكن هناك مانع في جريان العلة وتشبيه الأصل بالفرع^(١).

ومثال ذلك عند «أبي نيهان» ما نصه: (وبذلك فيما يروى حكم النبي ﷺ في بريرة لما اختارت نفسها، وكأنهما في القياس من كل وجه بالعلة الجامعة بينهما في كل حال لعلى سواء في هذا)^(٢).

ويعجبني أن أنقل نصاً متكاملاً عن «أبي نيهان» في معرض جوابه لمن سألته عن قول الشيخ أبي محمد بن بركة البهلوي: (والقياس لا يصح إلا على أصل متفق عليه). وعن قول من زعم في اختلاف الرأي: (وإن صح فخرج على ظاهر العدل، فالحق لا يكون إلا في واحد، وما سواه خطأ عند الله تعالى).. فقال: (ما حمل من

(١) أبو نيهان جاعد - جملات: ٤٠ .

(٢) نفس المصدر: ٤٢٤ .

الفروع فى القياس على أصل صحيح ثابت لمجيب، من الكتاب أو السنة أو الإجماع لعلة جامعة بينهما فيه معنى حكمه وكان بمعناه، فإن أشبه أصلين متنافيين فى الحكم، فالذى هو أقرب إليه شبهاً كأنه أولى به أن يخرج حكمه فيه، وإن كان من الآخر البتة لا يتعرى، وإن لم يترجح إلى أحد الجانبين صح فيه على التساوى حكم المعنيين جميعاً، وكان القياس فيه بهما من كل منهما على أصل صحيح متفق فى الإجماع عليه.

وكذلك مما وقع الاختلاف فيه على هذا بين القايسين إذا كان قد تعلق كل منهم بأصل له التعلق به منهما، والقياس على ما قيس فرع لفرع الأصل المقاييس له من متفق فيما دون الإجماع ذلك الفرع عليه، أو مختلف بالرأى فيه، لأنه بالنسبة عن التتبع راجع إليه^(١).

وقال فى موضع آخر:

(إن القياس فى الأصل عبارة عن مقايسة بين معلومين، والمراد به فى النوع الفقهى استخراج حكم المجهول بالمعلوم، وهكذا حكم القياس الفلسفى فى النوع المنطقى يؤلفونه من مقدمتين أو أكثر؛ لتخرج من بينهما النتائج بعد ازدواج، فيظهر ولا شك عند أولى الأبواب فى نتاجه أنها حق، والعمل بها كذلك مهما أحكم وحرس

(١) نفس المصدر: ٤٧٣ . السعدى - قاموس الشريعة: ١/٢٧٢.

فى الوزن من الخطأ، فسلم لكونه فى المثال كالميزان صحيح البرهان،
يطلع به على باطن خفى، عن ظاهر جلى، وخروج حكم المعلوم
للمنصوب للقياس فى المجهول الذى به يقاس كيفما كان، وعلى أى
حال كان، فىكونان على سواء للعلة الجامعة لهما، الموجب حكم
الاشترك فى الحكم بينهما فى جميع ما اشتبها فيه من شىء، ما لم
يمنع من جريانها فيه مانع، لأنه معلول لعلة، والقياس بالشبه على
وجوه عدة، وكله على تجرده من العلة كذلك غير جائز.

والعلة أنواع والمستنبطة أنواع منها، وهى فى الجملة على ضربين
متفق عليه ومختلف فيه، والمعلومات النظرية المستخرجة بالرأى
كذلك، وقد أجمع أهل العدل على الرأى والقول بالرأى، والعمل
على الرأى فى مواضع الرأى فوق الاتفاق على أشياء نعمة،
والاختلاف فى الأخرى نعمة^(١).

ويكفى ما جاء فى هذا النص عن التعليق، وذلك لأن فيه
التصريح باستعمال الشيخ أبى نيهان للقياس والعمل به، ولا شك أنه
ضليع فيه، بل فارس فرسان ميدانه؛ لقوة علمه وصفاء جنانه وفصيح
لسانه.

وقال فى معرض رده على الشيخ أبى محمد حيث منع القياس إلا

(١) أبى نيهان جاعد - جوابات: ص ٤٨٧ وما بعدها - وانظر السعدى - القاموس: ٢٩٤ -

على أصل متفق عليه ما نصه: (ولا نعلم ان احداً من اهل العلم والتقى والحلم أنكر في الدين على قائله، ولا حكم في الدين بالخطا على فاعله، من لدن الصحابة إلى زماننا هذا، والحمد لله حمداً يوافي نعمه على كل حال، ولولا انه حق وصواب لما اجتمعت الامة عليه قولاً وفعلاً، امرأً وحكماً عملاً وعلماً، وعلى ذلك الكتاب والسنة دالان، فهما فيه إذن برهانان، وإذا كان الامر فيهما كذلك، وكان القول بالرأى في الحوادث، يضح ويجوز في مواضع الرأى، ويلزم في مواضع لزومه على من قدر يأتى فيه قولاً برأى عن أحد ذى رأى أو اقاويل أو لم يأت فيها شيء فكله سواء، فكيف يمنع القياس به لما أشبهه من شيء، لان يجرى حكمه فيما أشبهه فساواه فيه؟ وإن كان في الظاهر على العدل، فكأنى لا ارى هذا ولا اعلمه، ولا يبين لى إلا جوازه، ولزومه في مواضع فرضه، وخروج حكمه فيما أشبهه كالتفق عليه في الحق، أو المختلف فيه فلا فرق، وكله سواء في رجيح المعقول، وصحيح المنقول بان ما أشبه الشيء فهو مثله، وقد دلت النصوص؟ في الآثار عن المسلمين الاخير في مواضع شتى، وأماكن يكاد أن لا تحصى أنهم قد فعلوا ذلك، وقاسوا على هذا وذا جميعاً، ولم يقل أحد نعلمه بالمنع منه في مواضع الاختلاف، إلا أبا محمد هذا، والله أعلم بحقيقة مراده^(١). هذا نص كلامه، وهو دليل على أن الشيخ

(١) أبو النبهان جاعد - جوابات: ٤٨٨.

يشنع على من ينكر القياس على الفروع المختلف فيها، فكيف بالاصول المتفق عليها؟^{١٤}.

وقد نقل الشيخ البشرى قوله فى القياس أيضاً بما نصه: (والقول فى القياس فيما يجوز فيه القياس شائع بثبوته عند من أبصر الحق الحقيقى، فركب على الواح سفن المعرفة لجاج بحار العلوم، فى طلب استخراج جواهر المعانى من أنفاس أصداف غوامض أسرارها، وسبر دقائق حقائق مسالك سبل حقيقة الحقيقة عن صافى غماض قفار بحار أفكارها، فأخرج درر المعانى، فأتى بما لم يؤت فى اشطارها)^(١).

فى هذا النص أن القياس ليس فى كل شىء كما أسلفنا، ولا من كل أحد، بل هناك شروط فى التطبيق، وفى النقاش حتى يصبح القياس كما هو مقرر فى علم أصول الفقه.

وهذا يدلنا بل يوجب علينا أن نبسط القول قليلاً فى موضوع الاجتهاد؛ للحاجة إلى ذلك، وقد عقدت المبحث التالى لهذا الموضوع فاقول:

المبحث الخامس: رايه فى الاجتهاد:

الاجتهاد.. وهو بذل الطاقة من التفكير من عالم قادر على الاجتهاد فى استخراج حكم مسألة نازلة لم يأت فيها نص لا من

(١) موسى بن عيسى البشرى - مكنون الخزان: ٧٥/١.

الكتاب ولا من السنة ولا من الإجماع. ولذلك قالوا (لا اجتهاد مع نص)، والاجتهاد يكون بمسائل الرأى لا بمسائل الدين التى يدان لله فيها بالاعتقاد بمعنى أن مسائل الاعتقاد لا يجوز فيها الرأى؛ لأنها مسائل معروفة محددة، وقد ثبتت بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع، (والدين جاء فى كتاب الله أو سنة رسول أو إجماع الأمة فى كل دهر وزمان وفى كل بقعة ومكان) وما دل بعدم التنزيه للبارىء من متشابه الآيات فيرد على منحكم القرآن، ولا يؤخذ احكام العقائد من الأحاديث الاحادية بالنسبة للذات والصفات، وأما بالنسبة للسمعيات فقد أجاز العلماء الرأى فيها كعذاب القبر والصراف ووجود الجنة والنار وأمثالها، بل ورد الخلاف فيها مصرحاً به.

أما رأى «أبى نبهان» فى الإجهاد.. فقد أطلال فيه القول فى كثير من جواباته التى بين يديّ، ولكنى اختار فى هذه العجالة أن اضع عدة أسئلة من عندى، وأجيب عليها من نص كلام أبى نبهان نفسه؛ لأن كلامه منسبك، وقد لا يعسر على البعض فهمه.. فمن الأسهل أن يوضع كما ذكرت. ونسوق بعض الأمثلة.

س - من الذى يباح له الاجتهاد والنظر فى استخراج الاحكام؟
 ج - ليس لكل إنسان نور قلب يقدر به على النظر، ولا التمييز لأصح ما جاء فى الاثر، وإنما ذلك لأهل العلم والبصر^(١). وفى موضع آخر قال:

(١) أبى نبهان جاعد - جاهات: ٤٢٨.

(وفى آراء المسلمين والحمد لله متسع لمن عرفها وأبصر غدليها،
وقدر على استخراج ما يدل عليه بمعانيها، إلا أنه ربما أنكر أهل
الضعف والعمي عن درك أنوار الهدى كثيراً مما يستخرجه أهل الفهم
والقوة فى العلم بالدليل عليه من معانى أقوال الأولين أهل الاستقامة
فى الدين^(١)). وفى موضع آخر قال: (وليس كل من نظر كان له النظر،
حتى يجتمع له الفقه والبصر فيما يجوز فيه النظر).

س- إذن فما رأيكم أيها الشيخ فيمن قصر عن هذه المرتبة من
الناس؟ ومن الذى يقلده؟

ج- أما من كان من أهل الضعف عن هذه المرتبة فقصاراه
المشاورة لأهل العلم والورع، والاستدلال بهم على الأصح والمذهب
الأرجح، ومهما عليه اختلف أهل العلم فى ذلك أعتمد على قول
وليّه، فإن كانوا له أولياء أخذ بقول الأعلّم فيما قيل^(٢).

س- ماذا ترون أيها الشيخ فيمن لم يجد من يقلده وليس له
بصيرة بالترجيح؟

ج- إن عزت المناظرة عليه لمن يرجو أن يدرك بغيته منه، خرج
فى حقه ما قد قيل إن له أن يأخذ بما أراد من رأى الفقهاء، وقيل: إنه
لا بد له من أن ينظر فى ذلك بجهده، ويتحرى الأعدل بقصده،

(١) نفس المصدر: ١١٤.

(٢) نفس المصدر.

ويعمل على ما يغلب على ظنه أنه أعدل، ويكون عليه حتى يلقى من يده، على أعدل ذلك من أهل العلم والبصيرة المأمونين على ما حملوه من العلم، وقيل عليه أن يعرف الأعدل من الأتوايل ويكون فيها كابين عباس وإلا هلك^(١).

س- هل هذا الرأي صحيح عندكم؟

ج- لا يبين لى فى هذا الرأى إمكانه؛ لأنه فى موضع ما يمكنه الوقوف عليه من ذاته، أو من فور الاستدلال عليه بغيره، وإلا فيحال عدم العبارة والعجز عن المعرفة له من بين ما قيل فى نفس الشىء من الاختلاف فى الرأى^(٢).

س- ما هو الأنسب عندكم من هذه الأقوال الثلاثة المتقدمة؟ وهل الأصح عند عالم ما بالضرورة يكون فى النظر صحيحاً عند غيره؟

ج- الأوسط كأنه فى هذا الموضوع أقسط؛ لان إلزام الوقوف على الأصح مع عدم القدرة له عليه فيه تكليف شطط، والإهمال عن التحرى للأصوب قصور عن استفراغ الجهد المطالب به فى أصل التعبد، وليس الأصح - على الصحيح - موقفاً على

(١) نفس المصدر: ٤٢٨.

(٢) نفس المصدر.

نظر معين في حق أرباب البصائر، بل ربما يقع فيما بينهم فيه التباين في الرأي، كما وقع في نفس الآراء يوم الاجتهاد في استنباط العلة^(١).

س- هل لمن أراد العمل بقول من جملة أقوال أن ينظر الأعدل؟ وهل يعنف إن عمل بقول منها؟

ج- لا بد له على الأصح من التحري عند العمل لأعدلها، وذلك وجه السلامة له عن الهلكة؛ لأنه على هذا ما لم يخرج من الحق إلى الباطل فلا يصيب إثمًا ولا هلاكاً - إن شاء الله تعالى -، ولا نعلم في ذلك اختلافًا، وإذا كان في هذا هكذا، لم يجز أن يُخلَقَ في ذلك بالعيب على أحد اتبع فيه رأياً احتمل له في وجه الحق، وكان له متعلق في النظر بالرأي أو بشيء سبق في الرأي من أراد من أهل العلم من المسلمين، وإنما العيب على من خالف الأصول وصدف عن ملة الرسول، أو نصب الرأي دينا أو تكلم مينا.. إلخ..^(٢).

كما أن الشيخ - رحمه الله تعالى - يأمر بالنظر في الأعدل من الأقوال في أغلب جواباته، وعلى سبيل المثال جاء في بعض جواباته: (فانظر فيه وتدبر معانيه، ولا تعتمد إلا على ما تراه إلى النجاة سبيلاً، وعلى منهاج السلامة دليلاً، ولا يغرنك حسن الاتكال على من قال،

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر: ٤٢٩.

ولكن انظر فيما قال، فما وافق الحق فخذ به، وما خالف الحق إلى غيره من الباطل فاطرحه عن نفسك له رفضاً، وما أشكل عليك فيه من شيء فقف عنه، والتمس عدله إن اضطرت إليه من كتاب الله وسنة رسوله أو إجماع الأمة أو رأى أهل العدل من الفرقة المحقة، لعلك أن تصيب القصد وتهدى فيه إلى الرشد، ويرتفع عن بصيرتك الحجاب فتراه على ما هو عليه من خطأ أو صواب^(١).

هذا كلام الشيخ.. فتراه يأمر بالنظر والرأى، وينهى عن ضده، ويشترط لذلك الاعتماد على الكتاب أو السنة أو الإجماع؛ لئلا يخالف الناظر النصوص القطعية، فيصطدم مع النص.

ولا يأخذ الشيخ برأى من ليس من أهل الرأى، ولا يتكل على رأى مثل ذلك المفتى، بل ينظر بنفسه فى المسألة، فما وافق الحق أخذ به. ومما جاء عنه فى هذا الموضوع ما نصه: (وإن كان فى حفظى عمّن أدركته ممن ادعى جوازه من المتأخرين فلا أقوى عليه ولا العمل به، ولا أقول أنه ممن تؤخذ عنه الفتيا بالرأى، إذ لا أقول فيه إن له قوة علم تظهر له معى، ولا أدرى أنه من رأيه، ولا أنه أخذه بالتلقى له من غيره ممن له بصيرة نافذة فى العلم، إذ لم أفحصه عنه ولا بان لى صوابه، وفى نفسى منه جرح)^(٢).

(١) نفس المصدر: ٦٠٠، ٥٦، ٨٤، ١٠٤، ١١٤.

(٢) نفس المصدر: ١٢٩، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦، ٣٠٤، ٣٨٠، ٤٢١.

وقال ايضاً: (ولقد وجدنا فيهم قولاً لبعض المتأخرين من اهل زماننا ولا أقدر على رفعه إليك، لما فيه من مخالفة آثار الماضين مثل محمد بن محبوب وأبى سعيد وغيرهما من فقهاء المسلمين. وكلاماً اعرضنا عنه؛ لصدوره عمّن هو اقل فقهاً من المتقدمين؛ ولانه - على إطلاقه- يقتضى المنع فى مواضع مباحة دلّ عليها صريح الاثر وصحيح النظر^(١)).

وهذا لان الشيخ من اهل الاجتهاد واستنباط الاحكام، إذ لا يجوز للعالم الذى بلغ هذه الدرجة إلا أن ينظر فى الاعدل من الاقوال، كما انه لا ينبغى له أن يأخذ بشواذ الاقوال، ولا ضعيفها كما ذكر نفسه سابقاً.

ومع هذا فإن من أخذ بقول من اقوال المسلمين من ضعفاء الناس الذين لم يتاهلوا للاجتهاد فهو سالم - إن شاء الله - فى نظر الشيخ «أبى نيهان». وهذا نص كلامه فى ذلك: (وإن توسع فى ذلك بغير ذلك من الجائزات، ولم يخرج من صحيح آراء المسلمين لم نشرع إليه بالتخطئة تعنيفاً)^(٢).

ولكن الشيخ «أبا نيهان» يحب الاحتياط للمسلم، وإن لا يتبع المؤمن الرخص كما سلف، بل يتحرى لنفسه الخروج من الخلاف ما

(١) نفس المصدر: ١٨٢.

(٢) نفس المصدر: ٤٢١.

امكن . فمن ذلك قوله : (ونحب لمن استنصحننا واحب ان يناصح نفسه ان ياخذ في جميع اموره بالوثيقة ما قدر ، لا سيما في الفروج ، وان يتبع في ذلك بالحلال الصرف العارى من الاختلاف)^(١) .

وبجانب هذا . فإن الشيخ يعيب على من يمنع الضعفاء من الاخذ باى قول من أقوال المسلمين ، إذا كانوا لم يبلغوا درجة الاجتهاد ، اما المجتهد فعليه ان يتحرى اعدل الأقوال ، وبهذا جاء الاثر عن السلف . وفي ذلك يقول معيباً على اللانع : (وعلى الحاكم ان يحكم بينهما بما يراه من الراى انه على اجتهاد منه انه اصوب ، كذلك على كل عامل ان يعمل بما يراه من الراى إلى الحق اقرب ، وليس عليه فيما عليه ان يعدل عنه إلى غيره من الآراء ، ميلاً إلى الرخصة ، ولا يميل غيره إليه ، إلا ان يراه الاهدى والاصح والاقوى والأرجح ، خلافاً لما قاله هذا القائل إنه لا يجوز للناس ان يتعلق كل واحد منهم بقول ، وما أبعد عن الصحيح وأحرأه بالإبعاد والطرح ؛ لانه فى غاية البعد عما قال به فى هذا اهل العلم والبصر ، إذ لم نكن نرى له اشبهاهاً يقاس بها فى الأثر ، كلا . . ولا ينسأغ هذا فى حكم النظر)^(٢) .

وأما القول بغير حجة . . فيبطله الشيخ ، إذ لا يد لكل قول من

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر : ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

مستند يستند إليه قائله، أو علة سوغت قياس الحكم على أمر بالحكم على أمر آخر سابق له، وعلى هذا فما كان غير مستند إلى دليل، فهو باطل عنده، ولا يصوبه^(١).

وأحياناً.. يتوقف فيما لم تظهر له فيه الحجة، أو فيه شبهة من الفهم، أو كان من أمر الغيب. فهو يقول: (ونحن.. فليس لنا أن نتعاطى ما لم يؤذن لنا به، ولا علينا أن نتكلف علم شيء مما غاب عنا علمه مما لا دليل عليه ولا سبيل إليه لمعنى الإحاطة به..)^(٢).

أما القول بالدين في موضع الرأي ضلال، والعكس كذلك، فلا يجوز أن يفتى ولا أن يحكم في موضع كل واحد منهما بحكم الآخر، وقد ألقى الشيخ «أبو نيهان» على ذلك كثيراً في كثير من نصوص كلامه، وكرر كثيراً وجوب التفريق بينهما. وقال: (إن الدين هو ما جاء منصوصاً به في الأصول الثلاثة، وما عداه فيسع فيه الرأي، ولا يجوز أن يحجر فيه على الناس النظر والاجتهاد)^(٣).

اتباع السلف ما أمكن:

ومع مكانة الشيخ العلمية العالية، وقدرته الفائقة على الاجتهاد،

(١) نفس المصدر: ٦٣، ٩١، ١٠٣، ١٤٥، ١٩٧.

(٢) نفس المصدر: ١٩٧.

(٣) نفس المصدر: ٥٤، ٧٦، ١٠٣، ١٥٩، ١٦٨، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٥، ٣٠٤، ٤١٨،

٤٢٦، ٤٧٤، ٤٩٥، ٥٩١.

واستخراج الاحكام، إلا انه كثيراً ما يتعلق باتباع السلف من مشايخ
أهل الاستقامة فى الدين، الذين شهد لهم التاريخ بالمرتبة الكبرى فى
العلم والورع، ولا يجب مخالفتهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً^(١).

اللهم إلا إذا رأى ما يوجب مخالفة من تقدمه؛ لحجة ظاهرة،
لايستطيع الحياد عنها، فإنه مع الدليل مهما يكون، ولا يميل عن
الاعدل إلى ما هو أضعف منه حجة ولو قال به السلف، وقد ورد ذلك
فى مواطن عديدة من جواباته^(٢).

وعند استحسانه لقول من أقوال الفقهاء كثيراً ما يستعمل كلمة
(أميل)^(٣)، وهذه عادة كثير من الفقهاء، إذ يجعلونها بديلاً من
لفظة الاستحسان الحكم بالظن فى رأى الشيخ أبى نيهان.

ولا يجيز الشيخ أبو نيهان الحكم بالظن، مثال ذلك.. المفقود
حتى تنقضى مدة فقهه التى حددها الفقهاء.. ونقل من ذلك نصاً
من جوابه لمن سأل عن مثل هذه الحادثة: (ولا يجوز أن يحكم بموته
على الظن أنه لو كان حياً لرجع إلى أهله أو أتى خبر حياته، رجماً
بالغيب، كما قد فعل ذلك فى هذه الحادثة بغير الحق، وقضى به فى
الناس على غير وجه العدل الثابت على الصراط المستقيم، وفى ذلكم

(١) نفس المصدر: ١٠، ٢٧، ٤٢٤، ٤٥١، ٥٩٨، ٦٠٠.

(٢) نفس المصدر: ٤١، ٤٤، ٥٢، ٦٢، ٦٦، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٩، ١٦١، ١٨٠.

(٣) نفس المصدر: ٣٢، ٩٣، ١١٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ٤١٨، ٥٥٧.

بلاء من ربكم عظيم، حيث إنها حيزت الاموال ظلماً، وانتهكت الفروج حراماً، وعطلت الواجبات لهم وعليهم، ما لم ينقض أجلهم لفقدهم، أو غيبتهم، أو يصح موتهم، أو قتلهم بغير حجة ولا بيان، ولا دليل ولا برهان، إلا اتباع الظن جهلاً، أو ما تهواه الأنفس باطلاً، فإين هم والآثار، ومقال أولى الابصار^(١).

هذا .. وقد يأخذ الشيخ «أبو نيهان» ببعض الأدلة الشرعية الأخرى، من ذلك ..

المبحث السادس: أخذه بالادلة الأخرى:

أ - يأخذ الشيخ أبو نيهان بالاستحسان .. وقد أشار إلى ذلك في مسألة من اقترض من مال اليتيم كان تحت يده بلامقرض حيث كان ذلك من النقود أو مما يكال أو يوزن فله الربح وعليه الضمان ولليتيم عوض ماله وهذا من قول أبي سعيد الكدemy - رحمه الله - فاستحسنه الشيخ واحتج له بقوله ﷺ: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»^(٢).

كما استحسنت قول من أجاز للوكيل استعمال الخائن على سقى

(١) نفس المصدر: ١٨٧، ٤٣٩، ٤٢٠.

(٢) نفس المصدر: ص ١٣٩.

أموال اليتيم، والوقف لأجل الضرورة، خوفاً من ذهابها عطشاً حتى يجد الامين نظراً للصالح، إذ سئل عن ذلك فقال: (الله اعلم بسلامته.. وإنى لا أقطع ثم يهلكه؛ لأنى لا اعلم كون المنع عند ذلك حجراً له من صريح كتاب ولا من صحيح سنة ولا من صحيح إجماع، إلا ما جاء به الاثر قولاً بالمنع مجملاً لاخلاف فيه عن احد نعلمه، ولهذا فإنى أرى هذه الثلاثة الاصول تقوية بالمعنى لهذا النظر فى الحكم، يرى ذلك فيعرف تاويلها الفطن إذا تأملها وأمعن النظر فيها، إلا أنى لو قال قائل عند هذا بانه لا يبعد تجويزه من الإجازة فى الجائز نظراً؟ لانه الاصلح عند مقابلة الأقبح، صرفاً لحاضر المضرة، حتى يفرج الله بوجود المأمونين على ذلك، وفعل كل ذلك برأى منه، لدفع الواقع مع خوف المتوقع، نظراً فى الصلاح لكلا تتلف الاموال عطشاً لم اقل إنه اخطأ وجه الراى ديناً، وان كنت لا اقوى عليه لضعف منه ولا أمره، لدقة علم ما لم يخرج من الصلاح رأساً فى نظر اهل النظر^(١).

ب- أما المصلحة المرسله.. فإن الشيخ يأخذ بها وينطبق عليها المثال السابق، وذلك لان ما لم يرد اعتباره ولا إلغاؤه فالعمل به من المصالح المرسله للقائم بالامر، وذلك مثل الامور العامة التى تحتاج إلى تنظيم ونظر الاصلح بشأنها، وللقائم بالامر إذا رأى مصلحة فى منع

(١) نفس المصدر: ص ٣٢٦.

شيء أو إباحته مما لم يرد فيه نص قاطع بالإباحة أو المنع بحيث لا تجوز مخالفته، فله أن ينظر الأصلح للامة.

ج- أما سد الذرائع.. فكثيراً ما يحبذه الشيخ، وخاصة فيما يؤدي إلى التهور وفتح باب إلي الفساد، مع الاخذ بكتابة الثقات في الرصايا وغيرها من غير شهادة الشهود، هذا إذا كان ثقة. فكيف فيمن كان غير ثقة؛ لكلا يؤدي ذلك إلى فتح الباب إلى نهب أموال الناس من بالغ أو يتيم^(١).

وليست من نصوص بعينها من كلام الشيخ أبي نبهان في هذه الأدلة، ولكن من تتبع فقهه يجد أنه لا يحب فتح مظان الشبهات سداً للذرائع الفساد في المجتمع.

د - ولكن الشيخ مع هذا كغيره من فقهاء المسلمين يأخذ بالواسع والاطمئنان في الامور التي لا يؤدي الاخذ بقول من أقوال المسلمين فيها إلى فتح باب الفساد، أو يرد حكم يمنع من الاخذ بما تطمئن إليه النفس ويسكن إليه القلب، وقد رد مثل ذلك في كثير من جواباته، ولا أرى ما يدعو إلى الإتيان بأمثلة من ذلك^(٢). ولكن إذا تعارض الحكم والاطمئنان فلا بد من الاخذ بالحكم.

ويقيّد الشيخ الاخذ بالاطمئنان بوجوب أن يكون من نظر أهل

(١) نفس المصدر: ص ٢٨، ١٢٣، ١٣٥، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٧.

(٢) نفس المصدر: ٢٠٩.

العقول الاتقياء، وليس ما تطمئن إليه قلوب الفساق، ويحسن أن أنقل نص كلامه فى هذا الموضوع. فهو يقول: (وقد تختلف الاطمئنانات من المطمئنين لموضع بصيرة قلوبهم، أو عمى قلوبهم؛ لانه قد يجرى التصديق من أعمى القلب لموضع هواه ولموضع تصديقه واشكاله ونظرائه وأمثاله، ولا يصح قولهم بالاطمئنانة فى قيمة خردلة، مع من يبصر الاطمئنانة من أهل البصائر فيها، وهذا ما لا يخفى على أهل العدل، وكل شىء أخذ من طريق العقل فليس له غاية إلا صحة العلم فى العقل، وكل شىء أخذ بالحكم فقطع حجته صحة الحكم، وكل شىء كان بصحته من طريق فلا يكون صحته إلا من عقل متبصر للحجة، والقول فى مثل هذا يتسع لاختلاف الناس واختلاف معانيهم، ولكل ثقة ثقة ولكل أحد شكل، ولا يكون ثقته إلا باشكاله، فليس كل الاشكال ولا كل الناس يبصرون أحكام العقل، وإنما ذلك إلى المبصرين. إلخ^(١)).

المبحث السابع: أخذه بالقواعد الفقهية:

أما أخذ الشيخ بالقواعد الفقهية.. فإنه يأخذ بهذه القواعد وخاصة أربع قواعد منها، وهى:

الأولى: الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

الثانية: اليقين لا يزال بالشك.

(١) نفس المصدر: ٢٠٩.

الثالثة: لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام.

الرابعة: الاصل فى الاشياء الإباحة حتى تثبت الحرمة.

فتراه يستدل بهذه القواعد فى كثير من جواباته، ولم يذكره بصفة مستقلة شأنه فى ذلك شأن أكثر الفقهاء العمانيين، ولكن لكل واحدة منها موضع فى واقع الاستدلال بها عند اللزوم^(١).. ولا يتسع المقام لذكر الأسئلة نقلاً من النصوص المتوفرة فى ذلك، خوفاً من التطويل.

وبعد هذا التطواف فى الاخذ بالأدلة والتمسك بها، فهل ياخذ الشيخ بالرخصة أم لا؟ هذا ما سنجيب عليه فى الفقرة التالية..

الايخذ بالرخصة،

ياخذ الشيخ أبو نيهان بالرخصة عند الحاجة فقط، وقد حكى عنه ابنه الشيخ ناصر أنه يبذل الرخصة للتائب الراغب فى طاعة الله تعالى -، ولكنه يشدد على المستفتى الطالب للحيل، الذى يبتغى بذلك اتباع الهوى والمعصية^(٢)، أما فى غير ذلك فلا يحبذ الاخذ بالرخص، بل يؤكد على الاخذ بالحذر. والراى الاسلام التمسك بالاعدل، والخروج من الخلاف^(٣).

(١) نفس المصدر: ٩٠، ٩١، ٩٢، ١٠١، ١٠٢، ١٣٠، ١٣١، ١٣٨، ٣٠٨، ٣٢٢، ٣٢٣،

٣٥٨، ٣٨٣، ٣٨٧.

(٢) انظر السعدى - قاموس الشريعة: ١/١٣٥. وانظر ابا نيهان جاعد - الجوابات: ٩٣.

(٣) أبو نيهان جاعد - نفس المصدر: ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٥.

بعض المصطلحات التي وردت فى جوابات ابى نبهان،
المنزلى: اى بالارقام الحسابية لابلحروف الهجائية.
الغيلة: الطين إذا هبىء للبناء به.
التبن: قشور البر والشعير وما شابههما، والأطراف الصغيرة من
السنابل.

الخطوط: الرسائل وواحدھا خط، وليس بمعنى الخط المستقيم.
الطروس: الشىء المكتوب سواء رسالة أو غيرها.
حشرى: اى وقف مؤيد إلى يوم القيامة.
القواصر الربط: هى الظروف أو الأوانى من سعف النخيل، التى
يكنز فيها التمر، وهى دون الجراب.
غلافة: الغلاف الذى تجعل فيه الرسالة.
الجبرة: الجملة.. وهو خاص بما يشتري جملة. يقال اشترته
بالجبرة اى بالجملة.

ساعد الفلج: إحدى القنوات أو السواقي الموجودة تحت الأرض
التى تغذى الفلج.
المنزف: البئر المتروكة للسقى. وهذا المصطلح خاص بالبئر قريبة
الماء.

الميزاب: هو الذى يصب منه الماء من سطوح المنازل.

الواسع: الأخذ بالجائز.. وهو التوسع فى الأخذ بما يسع وليس فيه إثم.

صيغة: حلى المرأة.. وهو مصطلح علمى عند العمانيين.

الرحى: طاحونة من الحجر يطحن بها البر؛ كى يصير دقيقاً للخبز، وهى خاصة بذلك.

المبحث الثامن: اسهاماته الأدبية:

ما وصلنا من شعر الشيخ - رحمه الله - أقل مما كنا نتوقعه، وكان الشيخ اشتغل بالعلم الشرعى فى التأليف أكثر، ولكن الذى بين أيدينا قدر لا بأس به، وقد ذكر لنا الشيخ محمد الخصيبى مجموعة من القصائد، بالإضافة إلى قصيدته الكبيرة المسماة «حياة المهج»، وقد شرحها الشيخ نفسه فى مجلد متوسط، وشرحها آخرون غيره، منهم ابنه الشيخ ناصر بن أبى نهبان، ومعظم هذه الشروح توجد بدار المخطوطات والوثائق فى وزارة التراث القومى والثقافة.

ويحق لنا أن نطلق على الشيخ أبى نهبان وصف الشاعر، وكان شعره فى كثير من الأغراض، منها علم السلوك، وهو الأكثر الغالب، ومنها ما كان جواباً على أسئلة فقهية، ومنها فى الأذكار. وله قصيدة فى الرد على من أنكر علم الأسرار.

ومن قصائده فى السلوك هذه القصيدة:

واليه منه يدين من قد دانا	سبحان من كل يسبحه به
ما كان أو سيكون كونا كانا	سبحان من للكون كان مكونا
ووجوده سبحانه سبحانا	سبحان من شهد الوجود بجموده
قد كان فرداً دائماً منانا	سبحان من هو أول بل آخر
بل باطن في وصفه مولانا	سبحان من هو ظاهر في فعله
قد كان قدماً مالكا ديانا	سبحان من هو واحد في ملكه
والملك والملكوت والاكوانا	سبحانه الملك الذي ملك الورى
صمداً حكيماً عالماً رحمانا	سبحان من قد كان فى أوصافه

إلى أن قال:

تحوى الطبائع أربعا أخذانا	سبحان من جعل الجسم هياكلا
للنفس والعقل الرفيع مكانا	سبحان من للروح قدرها كذا
والنفس أنفاس الهوى ميدانا	سبحان من جعل النفوس نفيسة
إذ كان بالسر المصون مصانا	سبحان من فى القلب أكن نوره
يجلو من النفس الصدى عجلانا	سبحان من بالصدر صون صيقلا
وعن الهوى ينهى النهى فنهانا	سبحان من جعل الهوى يهوى البذا

وهى قصيدة طويلة فى تسعة وستين بيتاً^(١).

ومن قصيدة له فى السلوك أيضاً ما يلى:

(١) المحصبي - شقائق النعمان: ١/١٤٠ - ١٤١.

أرى العدل عن لوم العذول هو العذلُ
 وحق الهوى ما صادق في الهوى فتى
 ويصغى إلى قول الرشاة فينشئ
 وينسى على حفظ حفاظا تقدمت
 ويسلو على الهجران من بعد زلفة
 ولا كل من قد رام في الحب شركة
 ولو كان عن قلب برىء عن الأذى
 ولو أن نور الحب أورى بقلبه
 وخمر الهوى لو خامر القلب بالجوى
 ولو أنه صب شج من الهوى
 وماراع عن نهج الحبيب بمنهج
 هو الحب سهل في اللسان ادعاؤه
 منيع الحمى لا بالهويتنا ولا المنى

وقصد الفتى وصل الحبيب هو الدخُلُ
 تحلى به عن خلة اللوم والعذل
 صدوداً على هجر وفى صدره ثقل
 قديماً على عهد قديم لها حذل
 ويحلوه له حال وقد غاله دغل
 وبهنا بنشراب أو يبلذ له أكل
 لأزوى به وجللاً وزاد به الجدل
 أوار الهوى أمسى وفى جسمه نحل
 لما رده بذل ولا صده عكل
 لما رام غيراً لا ولا منه كل
 وإن لج أهل العذل به الذهل
 على أنه حزن وليس له به سهل
 بلوغ المنى أنى ومن حوله سبل

إلى آخر ما قال... وهى طويلة قوية المبانى غريبة المعانى .

ومن قصائده فى السلوك أيضاً قصيدته المسماة «حياة المهج» ..

وهذا أولها:

تبين أخى فى الله قولى فى إني
 وأهدبه صرفاً فى عموم أولى النهى
 وأدنى قريب كان ذاتى حقيقتى
 على النصح فى ذات الإله مع العتبى
 كذا فى خصوص من عزم أولى القربى
 فنفسى به أحرى ندياً وإن تابى

أراها على قبح الصفات ذميمة
أرى الجهل أمراً كالهوى يجذب الورى
ومن ساءها تسمى بئسعى الردى دابها
إلى ورطة عن فرطة منهم جذبا
هو المهمة البهائم والجهل الذى
به تامت الدهماء فى عمه نهبا
كليل دجوجى على أهله سيمحا
فضلوا على تبهاء قيعانه الجدبا
تبين فإن الجهل بالجهل معضل
نعم ربما لا تقبلن تازة الرايا
هو الخزى والداء القبيح لأهله
وكن فى خلاص النفس منتدبا ندبا
تنبه فإن الامر ليس بهين

وهى قصيدة طويلة لا نستطيع الإتيان بها كاملة فى هذه العجالة.
ومن أشعاره فى السلوك أيضاً:

شموس قلوب العارفين بوازع
ومن حب غير الله هن فوارغ
لها فى خفيات الخفى مطالع
وفى غرب أعيان العيان مباح
وفى سر إشراق النفوس مشارق
لآفاق أوفاق النفاق دوامغ
وانوار أبصار البصائر كونها
لاسرار أبحار العلوم منابغ
وهى قصيدة طويلة أيضاً.

ومنها قوله - وهو يبتدىء كل بيت بحرف القاف - :

قرحت زناداً يستضىء بنوره
الباب كل العارفين وتمشق
قرشت لنار آنتست أنوارها
تمحو من البال الخيال وتمحق
قحمت لهم وادى المقدس بالهدى
نودوا الا هذى الحقائق تنطق
قطنت باسرار لها فى سرهم
تجلو صدى الاهواء لما تزهرق

ومن غريب قصائده القصيدة المقصورة التي يتكرر فيها الحرف الواحد، وهي ثمانية وعشرون بيتاً. ومنها قوله:

الا إننى أنسى الاسبى من أساءنى وإن لنفس الانس نفس الاسبى أسى
بليت بنفس والهوى ثم بالدنا ومن البلايا من لنفس البلى بلى
جوامع جهل جامعات بجهلها لكل جهول جاهل بالجوى جوى
دجت من دجاجى الجهل بالجهل نفسه وباطنه من جهله كالدجى دجى
هواء هوى فى هوة هان هونه بمهواه هونا فى مهوى الهوى هوى
واى فى ماوى الويغ وغل مزند غتل وسيط وزه كالوزى وزى
وله فى طلب الرزق أبيات ستة يتلوها الإنسان بتكرار بعد صلاة ركعتين بوضوء جديد وقلب مفرغ.

وله قصيدة يذكر فيها أحوال أهل زمانه، ويمدح العزلة عنهم، وهى على قافية العين، وله أجوبة نظمية وأشعار غيرها. يقول عنها «الخصيبى»: (ولهذا الشيخ العلامة الرئيس الربانى عدة مناظيم متنوعة، لا يسع المقام ذكر شىء منها فوق ما أوردنا خشية الإطالة)^(١).

وبما أوردنا كفاية للاطلاع، ومن أراد المزيد فليراجع هذه الأشعار من مظانها فى مكنتات المخطوطات.

(١) الخصيبى - شقائق: ١/١٤٠ وما بعدها.

وفيما يلي بيان عن وفاة الشيخ، وما قيل فيه من رثاء؛ لمزيد
الفائدة ..

المبحث التاسع: وفاة أبي نهبان ورثاؤه:

ابتلى الشيخ في آخر عمره بالعمى، ولكن الله قد أحيا بصيرته
بنور العلم، ومتعته بجميع قواه البدنية والعقلية، فواصل الليل بالنهار
في العلم والعمل، وفرغ نفسه في إحياء الشريعة، ونشر الوعي الديني
بين أبناء هذا البلد الذي طالما أنجب فطاحل العلماء، مثل أبي نهبان،
حتى توفي - رحمه الله - محمود السيرة، صافى السريرة، رفيع
الشأن والقدر في يوم الخميس ثالث شهر الحج عند نصف النهار من
عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف هجرية. وعاش تسعين سنة
قمرية، ودفن على رأس فلج الحيل من بلدة العليا، أعلى مسجد
العقيبة على سفح الجبل بمكان مرتفع جداً، وقد كتب تاريخ وفاته
على لوح حجري أعلى قبره، تغمده الله برحمته، وأسكنه نسيح
جناته.

أما رثاؤه .. فقد رثاه أناس كثيرون، منهم الشاعر المؤرخ
«ابن رزيق»، حميد بن محمد بن رزيق بعدة قصائد، كما رثاه
الشيخ «ثنيان بن ناصر بن خلف الزامل» بهذه القصيدة، حيث
قال:

غال شمس العلوم جهراً كسوفُ
 ودهى الدين والتقى والمعالي
 ودجى ليل شجيات مصاب
 حين أودى خليفة الله فى إلا
 كل سفر بما لديه شهيد
 منتهى الجود جاعد بن خميس
 ما بكته العيون حتى بكاه
 والديانات والمحابر والإسلام
 كل من لم يهله حزناً وجيماً
 كيف لا، وهو للجنان منالاً
 شهد العالمون طراً جميعاً
 يا حبيب القلوب عنا توليت
 ومن الغوثُ إن دعت مشكلات
 من لدحض احتجاج من خاصم
 وإذا لبس العمامة علينا
 كنت تُهدى بأمر ربك نوراً
 لو برضوى وزنت علماً وحلماً
 لارعى الله فيك دهرأ دهننا
 ما سقانا شهد المسرة إلا
 واعترى بدرها السننُ الخسوفُ
 وجميع الأنام خطب مخوف
 عاق قلب الزمان منه رجيف
 رض وولى الصلاح والمعروفُ
 أبد الدهر من علوم يضيف
 وإرث المصطفى الرحيم الرؤوف
 العلم، والأرض والسماء المنيف
 والكتب والقنا والسننُوف
 موته فهو للنفاق حليف
 خيرة الله أريحى عفيف
 إنه الفاضل الكريم الظريف
 فأين الخليفة الموصوف
 معضلات يحار فيها الضعيف
 الدين إذا ما ازدهاه عنه النكوف
 فمن الكاشف المصيب الخنيف
 وضيأً وعادلاً لا تحيف
 كنت أنت الثقيل وهو الخفيف
 بمصاب منه عوادِ صروف
 فيه سم الحِمام غدرأ يديف

كل حلو وكل صفو لذيد
كيف نلتذ مطعماً وشراباً
لو على الدهر من خلود لحي
عجباً كيف يضحك غير جهول
فانظرونا يا أولى النهى باعتبار
وتغزو مسترجعين عسى أن
واستعينوا بالصبر واستمسكوا
واطلبوا العلم قبل أن يرفع
فارتفاع العلوم عن ذى الدنا أن
يا ضريحاً حويت شمساً وبحراً
أنت خير القبور من بعد قبر
ما برحنا وإن قضى ما حيننا
ولما أودع الدفـاتر نـتلو
فسقى الله قبره سحـب عفو
وعليه فى ظل بردٍ مديد

بالمرات والرزايا مؤوف
والمنايا متنها إلبنا رجيـف
خلد المصطفى النبى الظريف
موقن أن تعيش فيه الحـقوف
فى مصاب منه الزمان دنيف
ترزقوا الأجر فالرزايا صنوف
بالحق والحق مستنير رصيف
العلم ويعمى عن الرشاد الصدوف
يحتوى أهلها الثرى والسقوف
موجه العلم ماله قط سيف
المصطفى إنك النزبه النظيف
مسك أخلاقه الحسان تسوف
حكماً قد زهت بهن الحروف
واصطفى نفسه الغفور الرؤوف
ذُلت من جنا الجنان قطوف

وها هنا وقف القلم عن الجولان بانتهاء كتابة هذه القصيدة
الغراء، ولا شك أن فيه مراثى أخرى لا مجال لذكرها فى هذا البحث
المختصر.. فهذه القصيدة نختتم البحث وإليك الخلاصة..

الخاتمة

لقد تبين لنا من هذا البحث أن الشيخ «أبا نهبان» كان شخصية فذة في أخلاقه وصفاته، وفي تقواه وسلوكه، وزهده وورعه، وإن للشيخ مكانة علمية بارزة يجهلها كثير من الناشئة. فهو عالم بلغ درجة الاجتهاد، وصار ممن يشار إليه بالبنان في شتى صنوف المعرفة تفسيراً وحديثاً وبياناً وأدباً وفلسفةً وتصوفاً وغير ذلك من العلوم النافعة، وإن هذا الشيخ كان من علماء الآخرة، فكان يمقت علماء السوء الذين يأكلون بعلمهم، ويتظاهرون بالمعرفة والعلم وهم بعيدون من ذلك.

وقد تصدى الشيخ للتعليم والفتوى، فصار يقصده الطلاب والسائلون من كل حدب وصوب من عمان وغيرها بأسئلتهم ويكتبهم للدراسة، وكان يعيب على أهل زمانه قلة العلم والتهور في الفتوى بالرأى ونصب الرأى دينا والتضييق على الناس في أمور جعل الله لهم فيها سعة.

وكان في منهجه التشريعي يأخذ بأصول التشريع الثلاثة وبالقياس والمصلحة المرسلّة والاستحسان وسد الذرائع بعض الأدلة الأخرى كالقواعد الفقهية. وكان يذم التقليد ويمتته، بل ينادى بفتح

باب الاجتهاد بشروطه، وقد رويت مقالته: (إن الراى فى الاصول
أضيق من سم الخياط على جثة الجمل، والراى فى الفروع أوسع من
الدهناء لراعى الإبل،).. فظهر أنه عالم مجتهد مجدد، له آثاره
العلمية والإسهامات الأدبية والأسلوب الرصين والرد المتين للبدع
والشطط فى الراى، مما يوجب على الدارسين والباحثين أن يتتبعوا
آثاره، وأن ينفضوا الغبار عن مؤلفاته؛ كى تظهر للدارسين والباحثين
والقراء، عسى أن يقبض الله من الشباب من يشمر عن ساعد الجد،
فيخرجوا كنوز التراث من رفوفها، ويقدموها لطالبيها فى أفضل شكل
وأبهى صورة. والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أبو نيهان جاعد بن خميس:
- جوايات أبي نيهان «قطعة الاحكام».
مخطوطة بدار المخطوطات والوثائق فى وزارة التراث القومى والثقافة.
- حياة المهج - مخطوطة.
- سيرة أبى نيهان - مخطوطة.
- مقاليد التنزيل - مخطوطة أيضاً فى شرح سورة الفاتحة.
- ٣- الخصيبى، محمد بن راشد: شقائق النعمان ج ١ طبعة وزارة التراث القومى والثقافة ١٩٨٩ ط ١.
- ٤- البشرى، موسى بن عيسى: مكنون الخزائن ج ١ ط وزارة التراث القومى والثقافة.
- ٥- السعدى، جميل بن خميس: قاموس الشريعة: ١/٣ طبعة التراث القومى والثقافة ١٩٨٣ ط ١.
- ٦- الراشدى، مبارك: بحث عام التراث أبو نيهان وفكره مخطوط. ضمن «قراءات فى الخليلى».
- ٧ - الخروصى، مهنا بن خلفان: مذكرة فى نسب الشيخ وشىء عن سيرته - مخطوطة.

- ٨ - الخليلي، سعيد بن خلفان: تمهيد قواعد الإيمان ط وزارة التراث القومي والثقافة.
- ٩ - البوسعيدى، مهنا بن خلفان: لباب الآثار طبعة وزارة التراث القومي والثقافة.
- ١٠ - الخليلي، عبد الله بن علي: رسالة الحقيقة - مخطوطة.
- ١١ - السالمى، محمد بن عبد الله: نهضة الأعيان.
- ١٢ - ابن رزيق حميد بن محمد: الفتح المبين طبعة وزارة التراث القومي والثقافة العمانية.
- ١٣ - السالمى، عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان طبعة وزارة التراث القومي والثقافة جوهر النظام طبعة مكتبة الاستقامة.
- ١٤ - السيد حمد بن سيف البوسعيدى: الموجز المفيد فى تاريخ البوسعيد.

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٣	المقدمة
٥٥-٧	الفصل الأول: شخصية الشيخ أبي نيهان
٧	- المبحث الأول: نشأة الشيخ أبي نيهان
١٠	- المبحث الثاني: دراسته وشيوخه
١٥	- المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته
٢٠	- المبحث الرابع: تصوفه
٢٣	- المبحث الخامس: مكانته الفقهية
٣٢	- المبحث السادس: آثاره العلمية
٤٢	- المبحث السابع: موقفه من العلم والفتوى
١٠٢- ٥٧	الفصل الثاني: منهج الشيخ أبي نيهان الفقهي
٥٧	- المبحث الأول: تعامله مع الكتاب العزيز
٦٣	- المبحث الثاني: تعامله مع السنة
٦٩	- المبحث الثالث: تعامله مع الإجماع
٧٢	- المبحث الرابع: موقفه من القياس
٧٦	- المبحث الخامس: رأيه في الاجتهاد

- ٨٦ - المبحث السادس؛ أخذه بالأدلة الأخرى
- ٨٩ - المبحث السابع: أخذ بالقواعد الأخرى
- ٩٢ - المبحث الثامن: أخذ بالقواعد الفقهية
- ٩٧ - المبحث التاسع: وفاته وراثته
- ١٠١ - الخاتمة
- ١٠٣ - مراجع البحث
- ١٠٥ - الفهرس

